٢٨٢

الجزء الرابع　　　المجلد السادس والعشرون



١ تشرين الأول سنة ١٩٥١　　　١ المحرم سنة ١٣٧١

ذيل ثانٍ

للألفاظ السريانية في المعاجم العربية

حرف الخاء

— ٢ —

اضافة الى خَتَن : توافقت فيها الآثورية والسريانية والعربية وهي في الآثورية Hatanu قاله الأب شيل ص ٥٢ ، وارتأى هونتورا ، ٢٩٨ أنها سامية .

خس : توافقت فيها الآثورية Casu (هونتورا ٣٨٥) والسريانية Hasto, Haso, Has : حَس ، حاسو ، حستو (الدليل ٢٨٣) والعربية .

خطيّة : من توافق الآثورية Hit (النحو الآثوري للأب شيل ص ١١) و Hitu (الأدب البابلي لشارل ص ٢٠٠) والسريانية Htitho, Htoho : خطوهو ، خطيثو ، والعربية .

خَمْر : وبالسريانية Hamro ، حَمرو . قال غويدي في رسالته

« بلاد العرب قبل الاسلام ص ٥٠ » كان الخمر يرد من البلاد الأجنبية الى بلاد العرب، وهذا أشهر اسمائه بالعربية، وأصل اللفظة خَمَر ومعناها، غطّى، أخفى، ولا علاقة له بالخمر، أما أصل اللفظة الآرامي فيعني خَمَّر (بتشديد الميم) ولا نعني بكلامنا هذا انه لم يكن في بلاد العرب خمر، لكن شتّان بين عصير الأعناب وبين الخمر. ونستدل من أشعار عنترة وامرئ القيس وزهير، انهم كانوا يبتاعون الخمر بأثمان غالية، وكان يُجلب الى بلادهم من الشام وما بين النهرين، وقد اشتهرت منه خمور حمص وبابل وعانة وأندرين وأذرعات ... والخلاصة ان لفظة الخمر مستعارة من الآرامية » . وجاء في محيط المحيط ص ٥٩٣ « الخمر ما اسكر من عصير العنب أو عامّ .. وما بالمدينة من خمر عنب، وما كان شرابهم إلاّ من البسر والتمر » .

خَمير : وقال غويدي أيضاً « وكذلك لفظة خمير، وهي بالسريانية Hmiro خميرو .

خُلَّر : قال المطران ادى ص ٥٦ « الخُلَّر نبات قيل هو الفول أو الجُلُبان أو الماش، فارسيته خُلّر، من مأكولات الثيران ينفعها ويسمّنها » واما فرنكل فيقول في ص ١٤٢ : ان اصل الكلمة آرامي Hroulo، حرُولو وكذلك ذهب دوفال ٣ : ١١٤ . واللفظة في الدليل وفي برون Hourlo، حورلو، وفي ابن بهلول ع ٧٣٢ Hourlé، حورلي بالجمع وقال فيها : « قال اهل آمد انه الشلطيت، وهو حبّ أغبر مثلث الشكل يؤكل كالعدس، الهرطمان، الجلبان » .

خِنزير : الخنزير : حيوان سمج الشكل صعب المراس، منه دجون ومنه بري : توافقت في اللفظة، السريانية Hzouro, Hziro، والآثورية، خُمْسرُو، والعبرية حَزير، والحبشية خنزير والعربية (تاريخ اللغات السامية لولفنسون ص ٢٨٤ وما بعدها) .

حرف الدال

اضافة الى دان : هي بالآثورية Dânu والقاضي Dǐn (شيل ص ٢٢) .

الدبّور : الزنبور وهي مولّدة (محيط المحيط ٦٢٢) .

اضافة الى الدجّال : قال البستاني : وعندي انه سرياني الأصل ومعناه كذاب مخاتل (فيه ص ٦٢٧) .

الدُّجْر : اللوبياء (محيط المحيط ٦٢٨) قلنا ونرى أصلها سريانياً Doghro (الدليل ١٣٧) .

الدِفران : (في محيط المحيط ٦٦١) ضرب من الشجر احمر الخشب .

دُمية : سريانية الأصل (رسالة غويدي ٣٧) .

الدِنح : قال البستاني ٦٨٤ «عيد للنصارى وهو عيد الغطاس معرب دنحا بالسريانية ومعناه الظهور» .

حرف الذال

اضافة الى مذبح : وفي محيط المحيط ٧٠٨ «والمذابح أيضاً المحاريب والمقاصير وهيا كل النصارى» .

ذِئب : الذئب حيوان من فصيلة الكلبيّات ورتبة اللواحم (الشهابي ٣٩٧) توافقت فيه الآثورية ، ذِيبُو Zêbu والسريانية Dibo والعبرية زْأب Zaab والعربية ذئب ، والحبشية زاْب (ولفنسون ٢٨٤ — ٢٩٣ وهونورا ١٠٦) .

ذُبابة : فيها وفاق في الآثورية Sumbu, Zumbu (شيل ٢٩ وشارل : الأدب ٢٩٧) والسريانية Débobo ، والعربية ، والعبرية Zébub (هونورا ٢٨٣ . وولفنسون ٢٨٧) .

ذَكَر : ضد انثى فهي بالآثورية Zikru, Zikaru (شيل ١٠ ، ١٢ ، ٥٢ . وشارل ١٩٨) والسريانية Dikkhro ذخرو ، والعربية . وكذلك :

ذَنَب : فهي بالآثورية Zibbatu, Zimbatu, Zinbatu (شيل ١٣ و ٣٨) Zibba (هونورا ٢٥٧) وبالسريانية Dounbo دُونبو ، والعربية ٠

حرف الراء

اضافة الى : رِجْز : جاء في كتاب هونورا ١٢٢ « انها بالسريانية والكلدانية والفينيقية Ragaz وبالآثورية Ragazu » ومرّ بك انها بلغتنا Roughzo ٠

رَحِم : قال شارل ٣٠٥ انها بالآثورية Rêmtu, Rêmu ٠ فاللفظة مما وقع الوفاق فيها بين الآثورية والآرامية والعربية ٠

رِخل : الانثى من أولاد الضأن ، قال هونورا ١٥٣ انها بالعبرية ، وفي الآثورية Likaru » توافقت فيها الآثورية والسريانية والعبرية والعربية ٠

رَسَم : يستدرك على الأستاذ البستاني في قوله في محيط المحيط ٧٨٠ « رسم الأسقف فلاناً أي أعطاه درجة من درجات الرهبانية » والصواب احدى درجات الكهنوت لأن الرهبانية عبارة عن نذر وثوب خاص بها وليست درجة ٠

تعليق على لفظة رَقّ : ذكر هونورا ٣٦٣ انها « بالآثورية Rakan, Raku ومعناها دبغ صقل دلك حك ، وبالعربية رقّ ، جلد رقّ » فنرجح ن هذه اللفظة الواردة في الآرامية والعربية ولا فعل لها فيها هي آثورية النجار من فعل Raku ٠

ووجدنا ذكراً للفظة الرَقّ في الشعر الجاهلي ، قال الأخنس بن شهاب :

كما نمّقَ العنوان في الرقّ كاتبُ

وقال طَرَفة :

كسطور الرقّ رقّشه بالضحى مرقّش يَشِمُه

(شعراء النصرانية للأب شيخو ص ١٨٤ و ٣١٦) ٠

رَمَكَة : قال المطران ادى شير ص ٧٣ « الرَمَكَة الفرس والبرذونة تتخذ للنسل (محيط المحيط ٨١٩) قال في شفاء الغليل : الرَمَكَة انثى البردون معرّب ، قلت هي تعريب رَمَكا بالفارسية القديمة ومعناها الفرَس . ويبان ان الفارسي مأخوذ من الآرامي Ramko رَمكو » اما برون فذكر ص ٦٣٨ مع (رمكو) رْمِك Rmek العبرية ولم يقل بفارسيتها ، وأوردها هونورا ٣٠٤ Rammak ?

حرف الزاء

زِبِّيل : قال المطران ادى شير ص ٨٠ « انه مأخوذ من السريانية Zabilo (ابن بهلول ع ١٧٣) والفارسي زنبيل مشتق من الآرامية (راجع فرنكل ٧٨) »[1] .

زيتون : قال غويدي في رسالته ص ٥٠ « ومن أهم الأغراس شجرة الزيتون ولا توجد في بلاد العرب والأنباط ، قال استرابون : كل البلاد خصبة بالثمار ما عدا شجرة الزيتون . ويؤيد الاعتبار الفيلولوجي انها لفظة دخيلة ، لأن ليس في العربية لفظة اخرى بصيغتها ، وانما اقتُبست من الآرامية » اه قلنا هي بالآرامية : Zaytounitho, Zaytouno, Zayto زيتو ، زيتونو ، زَيتُونيثو (الدليل ١٩٧ وبرون ١٢٦) .

حرف السين

اضافة الى سبت : توافقت في هـذه اللفظة الآثورية Sabbatu والعبرية شَبَتْ ، والسريانية شبثو ، كما مرّ بك وعنها اقتبستها اللاتينية Sabatti والأرمنية Shabat وغيرها (هونورا ٣٣٢) .

---

(١) اضافة الى الحاشية ص ٧٦ وقال الصابيء ص ٥٠ « وجماعة من البطارقة والزراورة والأراختة والطراخنة » .

تصحيح : المعى المستقيم (لا المعي) ·

تصحيح : السطام المسعار لحديدة مفطوحة تحرك بها النار (لا المسمار) ·

سِراج : قال المطران ادى ص ٨٩ «انها معرب جراغ وعندي ان جراغ مأخوذ من الآرامي Shrogho شْروغو من فعل Shragh شْراغ : أضاء» وقال هونورا ١١٤ ، سراج لفظة ساميّة · وقال غويدي ان لفظة سراج الفارسية چراغ فجعلها الآراميون شراغ والعرب سراج ·

اضافة الى سربال : جرت على لسان اعشى قيس في قوله (ص ٣٦٨) :

مُقَلَّص اسفلُ السربالِ معتَمِلُ

سَطَر : كَتَب قال هونورا ٢٢٦ انها سامية Satar وبالآثورية Sataru ·

سَفَرجل : توافقت فيها الآثورية Ṣoupourgillu وهي مركبة من لفظة Soufour, Safar ومعناها : اصفر ، ذهب ، زعفران ، نحاس ، ومن Gala : وتعني تفّاح ، شراب التفّاح (هونورا ٢٧٠) والسريانية Sfarglo سَفَرگلو ·

اضافة الى سفل : قال هونورا ١٢٩ انها آثورية ، سامية Saphal ·

سفينة : قال هونورا ١٨٤ · توافقت فيها السريانية Sfito وتُكتب فيها النون ولا تلفَظ (سفينتو) والعبرية Saphîn والعربية : سَفَن وسفينة ·

سَكَر : السَكَر كلّ ما يُسكِر توافقت فيها البابلية Šikaru (الأدب البابلي لشارل ٢١٠) والسريانية Shakhro شَخرو والعبرية (شكر) والعربية ·

اضافة الى سُلاّق وسَلّيج : وصرح البستاني في محيط المحيط ٩٧٨ و ٩٨٤ والشرتوني بسريانيتها ·

اضافة الى سماء : ارتأى الدكتور ولفنسون ص ٢٨٨ انها لفظة تشترك فيها الآثورية البابلية ، شَمُو والعبرية ، شَمايم (وصوابه شومايم) والسريانيـة ، شمايو ولغات جنوبي الجزيرة والحبشة ، سَمّاي · والعربية · وقـال ص ٨ انها من اللغة السامية الأصلية ·

سِمْسِم : السِمْسِم نبات سنوي زراعي دهني من قبيلة السمسمية (الشهابي ٥٧٨) قال هونورا ٢٩٤ توافقت فيه الآرامية Shoushmo (شُوشمو) والآثورية Samash, Shamu ، والعربية .

سَنَة : من وفاق اللغات البابلية S̄nati, S̄ati (هونورا ٣٦٣ Sattu) والعبرية « شَنَت والعربية ، سنة » (ولفنسون ص ٥٠) والسريانية Shato (وتكتب شَنتو) .

اضافة الى سَنْدان : وصرح البستاني أيضاً بفارسيتها والجمع سنادين (محيط المحيط ١٠٠٨ — ١٠٠٩) .

سُوس بمعنى العث : سريانية Soso ، سوسو (المطران ادى ١٣٤ والدليل ٤٨٦) .

سنونو : قال الشهابي ٣٣٨ « ذكر صاحب معجم الحيوان انها اعجمية ولم يزد ، قلت وهي اليوم تطلق في الشام على هذه الطيور وهي من الجواثم المشقوقات المناقير وفصيلة السنونيات » .

وهي بالسريانية (سنونيثو Snounitho (الدليل ٥٠١) وبالآثورية Sunundu (هونورا ٣٠٠) من وفاق الآثورية والسريانية والعربية .

حرف الشين

اضافة الى شَبّور : وورد في كتاب النهاية لابن الأثير ٢ : ٢٠٢ « وفي حديث الاذان : ذكر له الشَبّور وجاء في الحديث انه البوق وفسروه أيضاً بالقُنْبع واللفظة عبرانية » .

اضافة الى شتل : توافقت فيها الآثورية Shatalu والسريانية Shtal والعبرية والعربية Shatla . (هونورا ٢٧١) على ان العربية اقتبستها من السريانية .

اضافة الى شرش : وقال صاحب محيط المحيط ١٠٧١ « الشِرش ما يسري في الأرض من أصول الشجر ، وأحد عروق البدن ، وهما من كلام العامة » .

اضافة الى شَشقلة : وفي كتاب البارع لأبي علي القالي ص ٩٧ « قال الخليل : والششقلة كلمة حِمْيرية عِبادية ، قد لهج بها صيارفة العراق في تعيير الدنانير يقولون : قد ششقلناها أي عيّرناها اذا وزنوها ديناراً فديناراً ، وليست الششقلة بعربية محض » .

شَفَة : الشَفَة من الانسان طَبَق فمه (أقرب الموارد) توافقت فيها الآثورية Šapta (الأب شيل ٥١) و Šaptu (بروكلمان ١٢٥) و Sapatu (هونورا ٢٣٠) والسريانية Sefto سِفتو ، والعبرية Šafo (بروكلمان) والعربية ، واعتبرها هونورا سامية Shaphat, Sapat .

اضافة الى شفنين : هي أيضاً بالآثورية Shifnino (هونورا ٣٥٤) .

اضافة الى شقراق : بما ان هذا الطائر يكون في قول الخليل بأرض الحرم في منابت النخل (البارع ٩٧) وبارض الروم والشام وخراسان ونواحيها في قول الشرتوني (٦٠٣) لا نجزم باصل اسمه فقد يكون من توافق اللغتين .

تعليق على شمس حاشية أولى : قال هونورا ٢٢٣ انها آثورية او بالحري سامية Shamash, Samas . وقال الدكتور ولفنسون ٢٨٨ هي بالآشورية البابلية : شَمْشُو وبالعبرية : شَمْش وبالآرامية شِمْشا (شمشو) وبلغات جنوب الجزيرة والحبشة : شمس ، وكذلك بالعربية .

اضافة الى شيرازة : وأما المعلم بطرس البستاني (محيط المحيط ١٠٧١) والمطران ادي (الألفاظ الفارسية المعربة ٩٩) فقالا بفارسيتها ، ولكن هذا لا يمنع ان تكون الفارسية أيضاً اقتبستها من اليونانية ؟

حرف الضاد

ضأن : هي من وفاق اللغات الآثورية Senu والعبرية (صان) والآرامية (عونو Oono) والعربية (ولفنسون ص ٥٠) .

حرف الطاء

اضافه الى طبل : قال مار اسحق الانطاكي في الميمر السابع والاربعين في الطلبات ص ٥٨٥ ما ترجمته «ان زمرة اخرى من الوثنيين تعيّد للأبالسة بالغناء وتحتفل بها بدُمى صامتة ، على صوت الطبل والبوق» .

وفي الميمر الثامن والأربعين في غزوة قرية بيت حُور ص ٥٨٩ « ان بعلشمين رأس الآلهة الوثنية الذي بادت ذبائحه من مدينة حرّان ، يُحتفل به جهراً في مدينة نصيبين بالطبل والبوق» .

وقال الحارث بن عبّاد :

فكأنّ اليهود في يوم عيدٍ ضربت فيه روقشاً وطبولا

(شعراء النصرانية ٢٧٩) .

وجاء في كتاب هونورا ص ٢٦٩ «طنبور سريانية وبالعربية طبل وبالآثورية Tabulu, Tapalu» فلفظة طبل آثورية الأصل توافقت فيها والسريانية ومن هذه اقتبستها العربية .

حرف العين

تعليق على عُربون : قال الأصمعي : العربون الجمي معرّب (محيط المحيط ١٣٦٢) وقال هونورا ١٢٦ : توافقت فيها العبرية والكلدانية والسريانية والعربية والآثورية Arabu .

عَرَق : ومعناه القدّة وخشبة تُعَرَّض بين سافَيِ البناء لتمكينه ، وضلع في البناء الخ (وفي محيط المحيط ١٣٨٢) العَرَق كل صفّ من اللَّبِن والآجرّ او الحجر في الحائط · وقد بنى الباني عَرَقاً أو عَرَقين أي صفّاً أو صفّين · اللفظة آرامية (عَرقو : ʿArqo) (الألفاظ الفارسية للمطران ادى ص ١٣٤) ·

عَقْرب : جنس حيوانات مضرة من رتبة العقربيات (الشهابي ٥٧٢) قال ولفنسون ٢٩٠ « توافقت فيها الآثورية : عَقْرَبو ، والسريانية عِقَرْبو Ékarbo · والعربية ، عقرب ، والعبرية والحبشية مثلها » ·

عَلَقة : تشاركت فيها العبرية Halukáh والسريانية (عَلقو ʿAlko) والعربية (هونورا ١٨٥) ·

عَنْز : توافقت فيها البابلية Enzu (سوس واكّاد ص ٢٨ ، وقصة احيقار التي طبعها الخوري فرنسيس نو بالفرنسية ص٢٠٩) والسريانية ʿEzo (ʿAanzo) : عِيزو (عنزو) ، والعبرية والعربية (عنز) ·

اضافة الى عيد : وأفصح هونورا بسريانيتها (٢٩٠) ·

حرف الغين

اضافة الى غَرَب : قال هونورا ٢٤٢ « غَرَب سريانية وتوافقها العبرية Harba ·

اضافة الى غُرلة : وهي أيضاً بالآثورية Urulati (شارل ٣٠٠) وفي محيط المحيط ١٩ : الأُرلة ، الغرلة ·

غزالة : توافقت فيها الآثورية Uzalu (شيل ٢٠) Azlu (هونورا ٢٥٥) والآرامية ، عُوزَيلو ʿOuzaylo : غُزَيِّل ، خشف ، والعربية ·

حرف الفاء

تصويب : فخّ : الآية المستشهد بها « فلتكن مائدتهم قدّامهم فخًا » وقد كرر الطابع « مائدتهم » سهواً .

اضافة الى فردوس : توافقت فيها الآثورية Paradis والسريانية Pardayso والعبرية Pardès والفارسية Phirdaus ، ومن اللغات القدامى اقتبسته العربية كما فعلت اللاتينية واليونانية والأرمنية وغيرها .

فرزل : توافقت فيها السريانية والآثورية Pirzilu (هونورا ١٦٧)[١] .

اضافة الى فرفخ : قال المطران ادى ١١٩ « انها معرب (فرفه) بالفارسية ، والفارسي مأخوذ من الآرامي Farphiné وهو مشتق من Farfah أي تفتّت ، راجع فرنكل ص ٢٤٣ » وذكر دوفال أيضاً سريانيتها ٣ : ١٦٤ .

اضافة الى فرن : لاتيني النجار من Fornax و Furnns . أما غوبدي ص ٥٨ فذهب انه دخل العربية بطريق اليونانية .

تصحيح : « الفشار الهذيان » لا للهذيان .

اضافة في تعريف الفلّ : وقال صاحب اللباب ص ٣٢٥ ناقلاً عن محيط المحيط ص ١٦٣٢ .

فَلْس : الفَلْس قطعة مضروبة من النحاس يتعامل بها وهي من المسكوكات القديمة (اقرب الموارد ٩٤٢) واللفظة توافقت فيها الآثورية Opelus والسريانية Foulso فُولسو . (هونورا ٢٥٩) ومنها أخذتها اليونانية Obolos واللاتينية Obolus والعربية . وردت في انجيل متى ٥ : ٢٦ « حتى توفي آخرَ فلس » .

اضافة الى فُهر : وقال برون ٤٨٢ انها بالآثورية Puhru فقد تشاركت بها الآثورية والعبرية .

(١) تصحيح خطأ في ص ١٢٩ س ١ « والمقراض يقطع به الحدّاد الحديد » لا والحديد .

فيل : قال الشرتوني ٩٥٦ « الفيل بالكسر حيوان عجيب من أعظم الحيوانات وأضخمها ، له خرطوم طويل يقوم مقام يد الانسان ، يرفع به العلف والماء الى فمه ويضرب به » وقال فيه الشهابي ٢٤٠ « جنس حيوانات من فصلة الفيليات ورتبة الخرطوميات » اه . قلنا اللفظة سنسكريتية الأصل Pilu ومنها أخذتها الآثورية Piru, Pilu . فالسريانية Filo, Fil فيل ، فيلو ، فالفارسية پيل Pil فالعربية فيل . (هونورا ٢٥٦ وبرون ٤٨٦ والألفاظ الفارسية ١٢٢ ، وليست آرامية الأصل كما ذهب المطران أدّى اشتقاقاً من فعل فَـل Fal ، أي لوّث لطّخ ، لمكث الفيل على شواطئ الأنهر والمستنقعات وشربه الماء بعد تكديره .

حرف القاف

قافلة : القافلة الرُّفقة القُفّال والمبتدئة بالسفر تفاؤلاً بالرجوع (الفيروزابادي) ذهب المطران ادى ص ١٣١ انها معربة من (قوفلو Koflo) بالآرامية . على اننا نراها من توافق الآرامية والعربيــة لوجود الفعل فيها ، قَفَل : رجَع و (أقفيل Akfel) : ارتحل ، رجع .

قَرْبَشوش : قال المطران ادى ص ٨٩ قماش البيت (محيط المحيط ١٦٨٤) معربة عن الآرامي (قَرُفشوشو Karfshousho) مشتق من فعل قرفش Karfèshe وهو ممات في اللغة الكتابية لكنه مستعمل في اللغة الدارجة ومعناه جمع من هنا ومن هنا .

اضافة الى قِرْصَعنة : نبات من أحرار البقول يؤكل بالخلّ والزيت .

اضافة الى قِطريب : قال البستاني في محيط المحيط ١٧٣٠ « عنــد ارباب الفلاحة ، خشبة صغيرة ... كما نقلها عنه القرداحي ، وأضاف ، وقطريب الرحى خشبة صغيرة أيضاً تربط بخيط يجعل تحت الحبّ في الكور ، فتبقى

معلقة خارج الكور حتى يفرغ الحب عن الخيط فتسقط لعدم تماسكه ، وتنسحب على وجه الرحى ، فتنبّه بصوتها على فراغ الحب ونهاية طحنه» اهـ .

قطن : توافقت فيها الآثورية Cittinu والسريانيـة (قوطنو Coutno) والعبرية Ceton والعربية (هونورا ١٩٥) .

قَفَص : قال المطران أدى ١٢٦ «قال فيه صاحب محيط المحيط ١٧٤٤ قيل معرب وقيل عربي (كما ذكر الشرتوني أيضاً ١٠٢٥) وبيان ان الكلمة آرامية الأصل (قفسو Kafso) وهي مشتقة من (قفَس Kface ، خزَن ، حبس ، قبض ، اختبأ) (فرنكل ١١٨ — ١١٩) وفي الرومي Capus» اهـ .

قُلّة : من الألفاظ التي عدّ المطران ادى أصلها آرامياً : القُلّة وهي الحُبّ العظيم او الجرة العظيمة ، (قولتو Koulto) وذكر برون ص ٥٨٨ Koleos .

قَمح : القمح البُرّ والحنطة والطعام . لفظة سامية وهي بالآثورية (قمُو) ولفنسون ص ٢٩١ والسريانية (قمحو Kamho) المطران أدى ١٣٤ . وجاء في الدليل ص ٦٨٢ : قميحة ، دقيق ، سميذ ، والفعل (قمَاح) طحن البُرّ ، وقمح استفّ الدقيق . وعبرية وعربية قمح ، (برون ٥٩٠ وولفنسون ٢٩١) .

قنديل : القنديل المصباح للسرج ، لفظة لاتينية Candela اجتازت الى اليونانية ومنها الى الآرامية Candilo قنديلو ، ومن الآرامية أخذها العرب ، قال غويدي ص ٥٢ «ومن الألفاظ الدخيلة في العربية اسماء المصابيح المجهولة عند العرب الأولين الذين لم يكن عندهم للاستصباح سوى ايقاد النار والمشاعل ، وتشهد لنا اللغة ان جلب المصابيح كان من الآراميين» ثم أورد لفظة قنديل فلفظة نبراس .

قُوس : قال المطران ادى ١٣٠ «القوس صومعة الراهب وبيت الصائد (محيط المحيط ١٧٧٤) قال في المعرّب انه فارسي لكن فرنكل ص ٢٧٥

ارتأى انه مأخوذ من السرياني Cawsho كَـوشو ، ومعناه : عُزلة ، رياضة ، سيرة رهبانية . وأما الفارسي (كوشه) فمعنـاه : زاوية ، و (كوچه) معناه : زقاق .

اضافة الى قيروطي : وقال فيها المعلم بطرس البستاني ١٧٧٨ « كلمة دخيلة من اليونانية » وكذلك قال برون ٦٠٧ .

حرف الـكاف

تعليق على كاهن : أفصح المعلم بطرس البستاني والشرتوني بسريانية هذه اللفظة ، وقال الدكتور ولفنسون ص ٦١ ، ان كُهَنيم بالعبرية ، كُهْنم بالكنعانية [1] فاللفظة مما توافقت فيه الفينيقية والحبشية Kaèn (هونورا ١٣٠) والعبرية والآرامية ، ومنها اجتازت الى العربية .

اضافة الى كبريت : توافقت فيها الآثورية Cuprit والسريانية Kébrito و Kabrito بفتح الكاف و كسرها بإمالة ، والعبرية Gabérit (هونورا ١٧٣ وبرون ٢٢٤) ومنها أخذتها العربية .

اضافة الى كبيسة : واشتقوا منها فعل كبس ووقع في كلام الصابئ قال ص ٢١٢ « في كبس هذا الربع تدبير » .

تصحيح للفظة كتان : قال بروكلمان ١٠٦ « هي بالآراميــة Kuttono وصوابها Kétono » وبالعبرية Kuttonet وبالفينيقية Kiton وبالمندائية Kitton وبالآثورية Kattinu فهي مما توافقت فيه الفينيقية والآثورية والآرامية والعبرية والمندائية ، ومن الآرامية أخذتها العربية . والذي أورده الشرتوني في الكنونة نقله من محيط المحيط ص ١٧٩٣ .

كَتَب : لفظة سامية (هونورا ١٧٥) .

(١) ان هذه اللفظة مجموعة أما مفردها فهو Koèn اوكوهين (هونورا ١٢٠)

تصحيح للفظة كَرَزَ عن الشرتوني « فهو كارز ومعتاده كاروز » وقد سقطت كلمة كاروز سهواً . وهذا نقله الشرتوني من محيط المحيط ص ١٨٠٤ وأما ظن المعلم البستاني ان اللفظة من « كريسين » اليونانية فهو وهم وانما نقلت الى العربية من السريانية ليس الا .

كَرْكَدَّن : الكركدّن مشدّدة الدال والعامة تشدّد النون ، حيوان بالهند في جُثّة الفيل ، خلقته خلقة الثور الا انه أعظم منه ذو حافر ، على رأسه قرن واحد (الشرتوني ١٠٧٩) وقال فيه الشهابي ٥٤٣ : « كَرْكَدَّنيّات فصيلة حيوانات من رتبة مفردات الأصابع فيها الكركدّن ويسمى وحيد القرن » وضبطها كازميرسكي في معجمه الفارسي Karkeden ٤٦٩ ومثله كاكيان في قاموسه التركي ١٠٢١ . وفي معجم لاريف ١١٥٨ : « Rhinoséros لفظة يونانية مركبة من Rhinos, Rhis وتعني انف و Keros او Keras ومدلولها : قرن ، جنس من الحيوانات ذوات الثديين تعيش في الأقاليم الحارة من المعمور القديم ، تتميز بقرن أو قرنين فوق الأنف » .

واللفظة بالسريانية Karkdono كَرْكدونو (اللباب ٦٠١ والدليل ٣٥٣ وبرون ٣٥٢ واودو ٤٨٥) ويقال ايضاً Hdhonoy carno : وحيد القرن (اللباب ٤٣٨ والدليل ٧٠٥) وهي بالآثورية Kurkizannu (هونورا ٢٣) .

فنرجح انها آثورية الأصل ومنها اقتبستها السريانية ومن هذه أخذتها الفارسية فالعربية .

كُرْكُم : الكُرْكُم نبات طبي عسقولي من فصيلة الزنجبيليات (الشهابي ٢٠٨) واللفظة مما توافقت فيه الآثورية Karkanu (هونورا ٢٣٠) والسريانية (كوركمو و كوركومو ، Kourkomo و Kourkmo اودو ٤٨٥ واللباب ٦٠١

والدليل ٣٥٤) والعبرية Karkom (هونورا ٢٣٠) والعربيـة · ومن احداها اجتازت الى اللاتينية Krokum واليونانية Kroko ·

اضافة الى لفظة كَفْر : وعن هونورا ٢٠٧ انها بالآثورية Kapru وبالعبرية Kafro · فهي لفظة توافقت فيها الآثورية والعربية والآرامية ومنها اقتبستها العربية ·

تعليق على كروب : وأورد هونورا ٢٢٦ انها بالآثورية Carubu فهي من وفاق الآثورية والعبرية ·

كَلب : حيوان أهلي من فصيلة الكلبيات ورتبة اللواحم (الشهابي ١٦١) فاللفظة بالآثورية ، كَلْبُو Kalab, Kalbu (شيل ٥٢) وبالسريانية كَلبو وكليب Kleb, Kalbo ، وبالعبرية والعربية والحبشية كَلْب (ولفنسون ٢٩١) (وهونورا ١٩٠) فهي من اللغة السامية الأصلية (ولفنسون ٨) ·

كِنّ : عشّ العصفور ، وردت في البابلية Kinnu وبالسريانية (قينو Kéno) من وفاق اللغات · (ولفنسون ص ٥٠) ·

تصحيح للفظة كُوب : هي بالآثورية Cabut وبالعبرية Capha (هونورا ١٧٣) فتوافقت فيها الآثورية والآرامية والعبرية ·

اضافة الى كُوّة : هي سريانية ، وعبرية Kaw وعربية (هونورا ١١٨) ·

اضافة الى كوثل : قال جابر بن حُنَيّ التغلبي :

يجيءِ ككوثلّ السفينة أمرُهم الى سَلفٍ عادٍ اذا احتلّ مُرزمِ

(والمُرزم الثابت والذي له صوت وجلبة) ، (شعراء النصرانية ١٨٩) ·

اضافة الى كورة : وارتأى المعلم البستاني انها معرّب خورا باليونانيـة (محيط المحيط ١٨٥٤) ·

كوكب : ذهب شارل ٣٥٥ انها سومرية Kakkabu : نجم بارق لامع ·

حرف اللام

لِباس : اللباس ما يلبَس ، توافقت في لفظه الآثورية Lubûshu (شيل ٥٢) والسريانية Lbousho لبوشو ، والعربية . والعبرية التي ذكر برون ٢٤٦ ورود فعل لبس فيها (لبش) .

لُبان : اللبان ، الكُنْدُر توافقت فيه الآرامية Lbouto, Lbounto ، لبونتو ، لبوتو ، والعبرية Lébanah والعربيـة (برون ٢٦٣) والآثورية Lubanu (هونورا ٢١٥) .

لَبِنَة : اللَّبِن المضروب من الطين مربّعاً للبناء واحدته لبِنة (أقرب الموارد ١١٢٧) توافقت فيها الآثورية Libbatu (شارل ٣٥٨) والسريانية (لبِتو Lbéto ، وتكتب أيضاً لبنتو وتدغم نونها) والعربية ، ومثلها : Lichad, Lichan (هونورا ١١٧) .

لِسان : اللسان فهي بالآثورية Lisânu (شيل ٥٢) والآرامية Léshono والعربية ، والعبرية أيضاً ليشون برون ٢٧٨ Lachon (هونورا) .

اضافة الى لقلق : ذكر هونورا ص ١٧١ انه بالآثورية Rakraak فيكون من وفاق الآثورية والآرامية والعربية .

اضافة الى لقن ، لكَن : اللكن عند صاحب محيط المحيط فارسي .

لَوز : اللوز شجر مثمر مشهور من فصيلة الورديات (الشهابي ٣٩) لفظة سامية Lawz (هونورا ٣٠١) فهي بالآرامية Louzo, Louz وبالعبرية (لوز) برون ٢٦٧ .

اضافة الى لأك ، مَلَك : وذكر البستاني ١٨٦٨ ـ ١٨٦٩ « وقيل هو سرياني الأصل » قلنا هو كذلك .

اضافة الى لاهوت : ونقل الشرتوني تعريفه هذا عن محيط المحيط ١٩٢٢ .

لوبيا : قال الأمير مصطفى الشهابي ٢٢٨ « اللوبيا من السريانية والأصل يوناني ، وكان العرب يطلقونها هي ورفيقاتها على بضعة أنواع نباتية متقاربة منها الفاصوليا . بقلة حبّية من فصيلة القـَطانيات الفراشية » . وقال هونورا ٢٥٠ هي بالآثورية Lubbu وبالعبرية Lubab وبالسريانية Lubus وبالعربية Lubia . وذكرها ابن بهلول ع ٩٤٦ Lubias نقلاً عن حُنين ، وخلا منها الدليل . فتكون من وفاق اللغات الآثورية والعبرية والسريانية ومنها أخذتها العربية .

حرف الميم

ماء : قال العلامة الرهاوي ، ومثل السماء لفظة الماء معنىً وصيغةً (انظر ص ٣٠٦ من هذه الرسالة) وجاء في تاريخ اللغات السامية لولفنسون ص ٢٩٣ « الماء بالعربية ، ومُو بالآشورية البابلية ، ومايم بالعبرية ، ومايو بالسريانية ، وماي بلغات جنوب الجزيرة والحبشة » فهي من اللغة السامية القديمة مثلما قال أيضاً ص ٨ .

مُرّ : المُرّ صمغ راتينجي يخرج من ساق شجرة المُرّ (معجم الألفاظ الزراعية ٤٣٩) لفظة توافقتْ فيهـا السريانية Mouro مُورو ، والآثورية Murru والعبرية Merr والعربية (هونورا ٢٣٤) .

تعليق على مَسْك : وهي أيضاً بالآثورية Mašk, Mašku (شيل ٥٢) .

اضافة الى مُسْكان : أما الكرملي فذهب انه عربي فصيح (نشوء اللغة العربية ٩٢) .

اضافة الى مسكين : قال هونورا ١٨٣ « انها بالآثورية Meskinu و Muskin والعبرية Mesken والسريانية Meskino » فتوافقت فيها اللغة الثلاث .

امطر : قال هونورا ٣٩١ انها لفظة سامية Matara فهي بالآرامية Mtar Amtar, Matar ومثلها بالعربية ، وبالعبرية Mtar .

تعليق على مفريان : نستدرك على قول المعلم البستاني فيه ، « انه اسقف قلاية البطريرك ينوب عنه في مصالحه ويُخلفه » اهـ . وصوابه « انه رئيس أساقفة بلاد المشرق يقوم بمصالحها لا بمصالح البطريرك ولا يخلفه » .

تعليق على مَكْس : وقع في كلام الصابئ ١٣٨ قال « ولا يطالبهم بضريبة ولا مكس » .

ملأً : ملأه شحنه وأفعمه، توافقت فيها الآثورية Mallû (شيل ٢٢) والسريانية والعبرية Mlo (برون ٢٩٧) والعربية ، وعدّها هونورا سامية ٢٨٨ .

تعليق على ملاّح : هي بالآثورية Mala (هونورا ٢١٥) والعبرية (ملح) برون ٣٠٠ ، والسريانية كما ذكرنا آنفاً ، وقعت في شعر طَرَفة قال :

عدوليّةٍ أو من سفين بن يامنٍ يجورُ بها الملاح طوراً ويهتدي

مَلْك ومَلِك : صاحب المُلك ، توافقت فيها الآثورية Malku, Maliku (شيل ١٠ و ١٢ و ٥٦) ومَلِكة Malkatu (ص ١٤) وبالسريانية Malko, Mlèk . (مليك ، ملكو) وبالعبرية Mlèk ملك (برون ٣٠١) والعربية ، والحبشية Melec (هونورا ١٨٥) .

اضافة الى ملكوت : وأفصح البستاني بسريانيته (محيط المحيط ٢٠٠٦) والشرتوني (١٢٤٠) .

اضافة الى ميرون : قال مُدرك بن علي الشيباني :

بحقّ ما في قلّة المَيرونِ (معجم الأدباء لياقوت ١٩ : ١٤٢)

ونستدرك على المعلم البستاني قوله فيه ٢٠٢٣ « انه عند بعض النصارى زيت مقدس يمسحون به المعتمدين والمرضى وغيرهم » وصوابه : انه عند عامة النصارى ماعدا البروتستنت ، يمسحون به المعتمدين والمذابح والهيكل فقط وانفرد الأرمن بمسح أساقفتهم وكهنتهم به . أما المرضى فيمسحون بزيت يسمى مسحة المرضى .

حرف النون

اضافة الى ناطور : وقال غوبدي انها آرامية الأصل ، وذكر هونورا ١٦٥ انها بالآثورية Nantaru أي حارس وتراها مقتبسة من الآرامية ٠

نامَ : توافقت فيها السريانية Nom نوم والعبرية Noum والعربية والحبشية نام (هونورا ٢٢٣ وبرون ٣٣٤) ٠

اضافة الى نبراس : وأفصح غوبدي بسريانيتها ص٥٢ (راجع هنا لفظة قنديل) ٠

تصويب للفظة نبي : لفظة سامية (هونورا ١١٦ وسمّر واكّاد ص ٢٥ Nabi) ٠

نجّار : لفظة سامية وهي بالآثورية Naggaru, Nangaru (شيل ٢٨) و Nagaru (هونورا ٣٤٤) وبالعبرية Macar ولم يذكرها برون ٠ وبالسريانية Nagoro ومنها لفظة Norgo بالسريانية ومعناها : فأس ٠ وهي بالآثورية Nagor و Nagaru (هونورا ٣٥٥) وبالعربية ٠

نسر : النسر ، جنس طيور من فصيلة النسريات ورتبة الجوارح (الشهابي ٦٣٥) ٠ لفظة سامية تشاركت فيها السريانية Neshro نيشرو ، والآثورية نشرُو ، والعبرية نشر Nesher ، والعربية نسر ، ولغات جنوب الجزيرة والحبشة نَشر (هونورا ١٨٩ وولفنسون ٢٩٣) ٠

تصويب للفظة نَفْس : توافقت فيها الآثورية والآرامية والعبرية والعربية والحبشية فهي سامية ٠ قال بروكلمان ١٢٧ نَفْس بالعربية ، وبالحبشية Nefs وبالعبرية Nefes ، وبالآرامية نفشو ، وبالآثورية Napîstu ٠

اضافة الى نِفط : قال هونورا ٣٣٧ « هي بالآثورية Napatu ومعناها بترول ٠ وبالآريّة Naphte وبالسنسكريتية الزندية Napta, Nappa ، وبالعربية نِفط »

وبالسريانية نفطو Nafto . فهي لفظة آثورية النجار ومنها اقتبستها السريانية فالعربية فغيرها .

تعليق على نَقَس : وردت عندنا ص ١٧٩ ضربه به ، كما هي في محيط المحيط ٢١١٨) .

نمر : النِّمْر والنَمِرُ : حيوان مفترس من فصيلة السنوريات ورتبة اللواحم (الشهابي ٣٨٦) وقال فيه الشرتوني ١٣٤٦ « ضرب من السباع فيه شبه من الأسد الا أنه أصغر منه وأخبث وأجرأ ، وهو منقّط الجلد نُقطاً سوداً وبيضاً ، سُمي به للنُمَر التي فيه » وقال أيضاً : النُمْرة النُكتة من أي لون كان ج نُمَر ١٠١٠ه . قلنا لا يصحّ هذا التعليل فان اللفظة من وفاق اللغات الآثورية Nemri, Nimru نِمْرو ، والسريانية Nemro نيمرو ، والعبرية Namir نَمِر ، والعربية ولغات جنوبي الجزيرة والحبشة : نِمر نَمِر (ولفنسون ٢٩٣ وهونورا ١٣٦) .

تصويب نون : توافقت فيها الآثورية Nunu (هونورا ١٤٩) والسريانية والعبرية والعربية .

اضافة الى نيّح : وفي محيط المحيط ٢١٥٠ والعامة تقول نيّحه فتنيّح أي أراحه فارتاح ، وتنيّح فلان مات .

اضافة الى نير : قال هونورا انها لفظة سامية وهي بالآثورية نِير ، Nir (٢٥٦ و ٣١٤) .

حرف الواو

وزّ : قال فيها الشهابي ٤٥٥ « جنس طيور من رتبة كَفَّيّات القدم صُفَيْحِيّات المناقير وفصيلة الوَزّيات ، وقد خلطت معاجمنا بين الوزّ والبط » وذكر ما يتميز به الطائران بالمنقار والعنق والرجل الخ .

توافقت في هذه اللفظة الآثورية Wzu والسريانية Wazo والعبرية Kazz والفارسية ، قاز (هونورا ٢٤٨ وقاموس قازيميرسكي ٣٤٣) ٠

وقّر ، تصويب : وقع فيها سهو مطبعي : أكرم وأجلُ ، وصوابه أجلّ بفتح اللام ٠

حرف الياء

يَشْب : حجر كريم أشفّ وأصفى من الزبرجد ٠ وقال الشرتوني ١٤٤٩ اليَشْب حجر قريب من الزبرجد لكنه أصفى منه ، فارسي قلنا هو بالآثورية Yaspu والآرامية يَشفو ، يَشفـة ' Yashpé, Yashpo والعبرية Yaspé ومنها اقتبسته العربية (هونورا ٢٤٥ والدليل ٣١٩ وبرون ٢١٧) ومن هذه الأصول أخذته أيضاً اليونانية Iaspiç واللاتينية Jaspis وورد في سفر الخروج ٢٨ ـ ٢٠ «وفي الصف الرابع الزبرجد والجزع واليشب» الموصلية ٠

يعْميصا : جاء في الدليل ١٣٣ ' يعميصا ' ريباس ' نبات يكون تحت الثلج ، وفي محيط المحيط ٢٣٠٣ اليعميصا ، الريباس ' بالسريانية ٠ والريباس قال فيه المحقق الشهابي ٥٤٤ : « الريباس Rheun Ribes هو المعروف في الشام والمذكور في المفردات ، تؤكل ضلوعه وتربّب ويصنع من عصيره شراب الريباس » ٠ وفي الألفاظ الفارسية للمطران ادى ٨٩ يعميصا Yaᶜmiço استعارتها الفارسية من السرياني ٠

اضافة الى يمّ : قال ولفنسون ص ٧١ اليمّ كنعانية (فينيقية) ٠

مار أغناطيوس افرام الأول برصوم

بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس

الايجاز

كانت العرب من أكثر الأمم ولوعاً بالايجاز أكثر من التطويل ، وكان الموجز يُبين عن براعة أكثر من المطيل ، ذلك لأن الكلام الموجز يبقي أثراً في النفوس أكثر من الكلام المطول ، والموجزات تتناقل ولا يكون ذلك للكلام الذي تكثر ألفاظه وتقل معانيه . والكلام المشبع بالمعاني بقليل من الألفاظ يدل على براعة الكاتب والشاعر والخطيب والمحاضر . وكان المعجبون بالايجاز من الكلام أكثر عدداً ممن لا يرضيهم الا التطويل ، واذا كان من يستحسنون الاقلال من الألفاظ تسعين في المئة ، فالذين يجيزون الاكثار لا يتجاوزون العشرة في المئة على ما يستفاد مما دوّنه علماء هذا الشأن . وأكثر من أعجبهم التطويل جاءوا في قرون الانحطاط من القرن الخامس الى الثالث عشر .

طبيعة العرب في الجاهلية والاسلام ايجاز القول أبداً ، يقصدون بذلك ان يعلق القول بالأذهان ، ويسهل نقله من صدر الى صدر ، وتعيه الذاكرة فلا ينسي بعضه بعضاً . وما ظهرت طريقة التطويل في الأمة العربية الا بدخول صنوف الأعاجم في الدولة ، حملوه الى العرب في جملة ما حملوا من مصطلحاتهم ، ومنها ما حملوه من الأمور التي ألصقوها بالدين وهي ليست منه .

وكأن بعض الدول من خلفاء بني العباس وعلى رأسهم المأمون ، أدركوا ما يحمل التطويل من الفساد في اللغة ، فأخذوا يحرصون على الايجاز فيما يصدر عنهم ويصدر اليهم من الكتب ، وكانت الصدارة في رجالهم لمن يجود في هذا الضرب من الكتابة ، وما عهد أن صدر من دواوينهم رسائل تزيد ألفاظها

عن معانيها ، وما كان ذلك الا في أواخر القرن الثالث وكثر في الدولة البويهية والدولة الفاطمية ودولة المماليك . نجد نموذجات من ذلك في صبح الأعشى للقلقشندي وغيره من الكتب التي ألفت قبله وبعده في هذا المعنى . فحق القول ان المؤلفات المطولة كانت على الأكثر ابنة العصور الأخيرة ، يوم كثر الجماعون والسارقون في المؤلفين وضعفت فيهم ملكة الانشاء وملكة التأليف معاً .

وما أبان التطويل قط عن براعة صاحبه بقدر ما أبان الايجاز ، والتطويل صناعة يراد بها التهويل والتمويه ، وما جوزه البيانيون الا في « الكتب الصادرة عن السلاطين في الأمور الجسيمة والفتوح الجليلة وتفخيم النعم الحادثة والترغيب في الطاعة والنهي عن المعصية ، وسبيلها أن تكون مشبعة تملأ الصدور وتأخذ بمجامع القلوب » .

الايجاز طبيعة وفطرة يستظهر ويروى وتقتضيه حالة عصرنا أكثر من العصور السابقة ، لأن حضارتنا متشعبة الطرق والمناحي فيقتضينا الوقت أن لا نتزيد في كتبنا ورسائلنا وخطبنا وتآليفنا . كثرت الموضوعات واتسعت دائرة العلوم ومطالب الحياة وصار للوقت ثمن ما كان له فيما غبر من الأزمان .

ولا يلائمنا من صيغ القول الا ما كان في طبيعتنا وطبيعة زماننا ، فنجعل كتاباتنا كالتوقيعات كما وصى بذلك شيخ الكتاب جعفر بن يحيى منذ القرن الثاني ، واذ بطلت التوقيعات من دواوين الدول العربية نجعل من البرقيات التي نتراسل بها في البرق نموذجات ننسج على منوالها في كل ما نكتبه وننظمه ونخطب به ، فنتوخى الايجاز في خطبنا في المجالس النيابية والأندية الأدبية وعلى المنابر وفي المعابد والمساجد ، نقلد فيها ما أثر عن بلغائنا في القرون الثلاثة الأولى قبل أن تتغلغل روح الدخلاء فينا .

وكان حكيماً يعرف مقدار ما تتحمل النفوس من الاستماع ، من قفى

بألا تتجاوز مدة الحديث في المذياع أكثر من خمس عشرة دقيقة لأن هذا القدر من الوقت يمكن للمتحدث أن يجمع فيه أفكاره ، ويقتصر في حديثه على اللباب ويطرح منه القشور ، فلا يدخل الملل على المستمعين حتى لا تضيع بذلك الفائدة المرجوة . وهكذا يقال في المدة المسموح بها للأغاني والأناشيد والأنباء التي تذاع في المذياع .

قال أحد كتاب الغرب المعاصرين لوصيف له : أراني عندما أهمُّ بكتابة مقالة أطيل الكلام ، فاذا لم يكن لديَّ ما أقوله أكتب مائتي سطر وبالعكس اذا وجب عليَّ أن أكتب مقالة تشبعت روحي بموضوعها فاني أكتبها في مئة سطر .

وروى العسكري في الصناعتين عن أصحاب الايجاز قولهم : الايجاز قصور البلاغة على الحقيقة ، وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضل داخل في باب الهذر والخطل ، وهما من أعظم أدواء الكلام ، وفيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة . قالوا اذا طال الكلام عرضت له أسباب التكلف ، ولا خير في شيء يأتي به التكلف . وقيل لبعضهم ما البلاغة ؟ فقال : الايجاز . قيل وما الايجاز ؟ قال : حذف الفضول ، وتقريب البعيد . قالوا : لا تنفق كلمتين اذا كفتك كلمة .

(١) كتب عبد الحميد الكاتب موصياً بشخص : «حق موصل كتابي اليك كحقه عليَّ اذ جعله موضعاً لأمله ورآني أهلاً لحاجته ، وقد أنجزت حاجته فصدق أمله» .

(٢) كتب ابو جعفر المنصور الى عامله على حمص وقد جاء منه كتاب فيه خطأ : «استبدل بكاتبك والا استبدل بك» .

(٣) كتب عمر بن عبد العزيز الى يزيد بن عبد الملك : «اما بعد فاتق يا يزيد الصرعة بعد الغفلة ، حين لا تقال العثرة ، ولا تقدر على الرجعة ، انك تترك ما تترك لمن لا يحمدك ، وتصير الى من لا يعذرك والسلام» .

(٤) وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز يستأذنه في تحصين مدينته فكتب اليه : « حصنها بالعدل ونقّ طرقها من الظلم » .

(٥) كتب ابن المقفع تعزية : « أعظم الله على المصيبة أجرك ، وأحسن على جليل الرزء نوالك ، وعجل لك الخلف فيه ، وذخر لك الثواب عليه » .

(٦) وكتب أيضاً في تعزية عن بنت : « لا ينقص الله عددك ، ولا ينزع عنك نعمته التي ألبسك ، وأحسن العوض لك ، وجعل الخلف لك خيراً مما رزأك ، وما أعطاك خيراً مما قبض منك » .

(٧) وله تعزية عن ابنة : « جدد الله لك من هبته ما يكون خلفاً لك مما رُزئته ، وعوضاً من المصيبة به ، ورزقك من الثواب عليه أضعاف ما رزأك به منها ، فما أقلّ كثير الدنيا في قليل الآخرة ، مع فناء هذه ودوام تلك » .

(٨) وتعزية له أيضاً : « أعظم الله أجرك في كل مصيبة ، وأوزعك الشكر له على كل نعمة ، اعرف لله حقه بما أمر به من الصبر ، تظفر بما وعد عظيم الأجر » .

(٩) كتب الحجاج الى قتيبة بن مسلم : « اني قد نظرت في سني فاذا أنا ابن ثلاث وخمسين وأنا وأنت لِدَةُ عام ، وان امرأً قد سار الى منهل خمسين سنة لقمين أن يَرِده والسلام » .

فنظمه أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمي فقال :

« اذا ذهب القرن الذي أنت فيهم وخلفت في قرن فأنت غريب
وان امرأً قد سار خمسين حجة الى منهل من ورده لقريب »

(١٠) كتب محمد بن سليمان لأحدهم رقعة : « سر الينا ننظر في أمرك ، ونبلغ فيه محبتك ، فاني أرعى لك متقدم حرمتك ، ووكيد أسبابك ان شاء الله » .

(١١) وفد من وجوه أهل الغوطة على المنصور وقد كانوا حاربوه ووالوا

عبد الله بن علي ، فقام عدة منهم فتكلموا ، ثم قام الجرشي فتكلم فقال : « يا أمير المؤمنين انا لسنا وفد مباهاة ، ولكننا وفد توبة ، ابتلينا بفتنة استفزت كريمنا ، واستخفت حليمنا ، فنحن بما قدمنا معترفون ، وبما سلف منا معتذرون ، فان تُعاقبنا فبما أجرمنا ، وان تعفُ وتحسن فطالما أحسنت لمن أساء » . فقال المنصور للوفد : خطيبكم الجرشي .

(١٢) كتب عمرو بن مسعدة عن المأمون الى عامل كتاباً استطاله ، فأخذ المأمون بيده وكتب : « قد كثر شاكوك فاما عدلت واما اعتزلت » .

(١٣) كتب بعض ولاة الأجناد الى المأمون ان الجند شغبوا ونهبوا فكتب اليه : « لو عدلت لم يشغبوا ، ولو وفيت لم ينهبوا » وعزله عنهم وأدرّ عليهم أرزاقهم .

(١٤) كتب عمرو بن مسعدة الى المأمون : « كتابي الى أمير المؤمنين ومن قِبَلي من قواده ورؤساء أجناده في الانقياد والطاعة على أحسن ما تكون طاعة جند تأخرت أرزاقهم وانقياد كفاة تراخت أعطياتهم ، فاختلت لذلك أحوالهم ، والتاثت معه أمورهم » فأمر لهم برزق ثمانية أشهر ، وقال لأحمد بن يوسف : لله در عمرو ما أبلغه ، ألا ترى الى ادماجه المسألة في الاخبار ، واعفائه سلطانه عن الاكثار .

(١٥) كثر طلاب الصدقات بباب المأمون مرة فكتب اليه أحمد بن يوسف : « داعي نداك يا أمير المؤمنين ومنادي جدواك جمعا الوفود ببابك يرجون نوالك المعهود ، فمنهم من يمتّ بحرمة ، ومنهم من يدلّ بخدمة ، قد أجحف بهم المقام ، وطالت عليهم الأيام ، فان رأى أمير المؤمنين ان ينعشهم بسيبه ، ويحقق حسن ظنهم بطوله فعل ان شاء الله » .

(١٦) كتب عمرو بن مسعدة الى بعض أصحابه في شخص يعزّ عليه : « أما بعد فموصل كتابي اليك سالم والسلام » . أراد قول الشاعر :

يديرونني عن سالم وأديرهم وجلدة بين العين والأنف سالم

أي يحلُّ مني هذا المحل .

(١٧) كتب سهل بن هرون الى صديق له أبلَّ من ضعف : « بلغني خبر الفترة في المامها وانحسارها ، والشكاة في حلولها وارتحالها ، فكاد يَشغل القلق بأوله عن السكون لآخره ، وتُذهل الحيرة في ابتدائه عن المسرة في انتهائه ، وكان تغيري في الحالين بقدرهما ارتياعاً للأولى وارتياحاً للأخرى » .

(١٨) سعى علي بن عيسى بن ماهان الى الرشيد بالفضل بن يحيى فرمى بكتابه الى جعفر وقال : اجبه ، فكتب على ظهره : « حفظك الله يا أخي ، وحبب اليك الوفاء فقد أبغضته ، وبغّض اليك الغدر فقد أحببته ، ان حسن الظن بالأيام داعيةُ الغِيَر والله المستعان » .

(١٩) أمر الواثق ابن الزيات ان يتلطف بعبد الله بن طاهر ، ويعلمه انه صرفه عن امر الجزائر والعواصم وفوض ذلك لابن عمه اسحق بن ابراهيم ، فكتب : « أما بعد فان أمير المؤمنين ، رأى أن يخلع ما في يمينك من أمر الجزائر والعواصم فيجعله في شمالك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

(٢٠) كتب العتّابي فكاد أن يخلّ بالمعنى من شدة الاختصار فكتب : « حامل كتابي اليك أنا فكن له أنا والسلام » .

(٢١) كتب طاهر للمأمون لما قتل علي بن عيسى : « بسم الله الرحمن الرحيم . كتابي الى أمير المؤمنين ورأس علي بن عيسى بين يدي ، وخاتمه في اصبعي ، وجنده مصرّفون تحت أمري والسلام » .

(٢٢) كتب الوليد بن يزيد الى والي العراقين حين عتب عليه : « اني أراك تقدم في الطاعة رجلاً وتؤخر أخرى فاعتمد على أيتهما شئت والسلام » .

(٢٣) كتب جعفر بن يحيى الى عامل شُكي : « قد كثر شاكوك ، وقلّ شاكروك ، فاما عدلت واما اعتزلت » .

(٢٤) كتب احمد بن يوسف : « أما بعد فاني لا أعرف للمعروف طريقاً أوعر من طريقه اليك ، فالمعروف لديك ضائع ، والشكر عندك للجور ، وانما غايتك في المعروف أن تحتقره وفي وليه أن تكفره » .

(٢٥) وكتب احمد بن يوسف الى عامل قد أخَّر المال : « قد استبطأك الاغفال ، وأبطرك الاهمال ، فما تُصحب قولك فعلاً ، ولا تتبع وعدك انجازاً ، وقد دافعت بمال نُجّم لزمك حمله ، حتى وجب عليه مثله ، فاحمل ثلاثة أنجم ليكون ما يتعجل منك ، أداء ما أخر عنك ان شاء الله » .

(٢٦) ووقّع الى عامل ظالم : « الحق طريق واضح لمن طلبه تهديه محجته ، ولا يخاف عثرته ، وتؤمن في السر مغبته ، فلا تستقلن منه ولا تعدلن عنه ، فقد بالغت في مناصحتك ، فلا تحوجني الى معاودتك ، فليس بعد التقدمة اليك ، الا سطوة الانكار عليك » .

(٢٧) ووقع الى عامل ذكر انه قد أصلح ما تحت يده : « انا لك حامد فاستدم أحسن ما أنت عليه ، يدم لك أحسن ما عندي ، واعلم ان كل شيء لا يزاد فيه ينقص ، والنقصان وان قل يمحق الكثير ، كما ينمى على الزيادة القليل » .

(٢٨) شُكي الى الحسن بن الفرات عامل قطربل واهماله عمل البزندات فوقّع اليه : « ينبغي أن تراعي العمل قبل الوقت للوقت وفي الوقت للوقت » .

(٢٩) وكتب الى عامله وقد أنفذ اليه رجلاً وقلده الخراج : « السيف تابع للقلم ، والقلم متبوع ، وقل سيف غلب القلم ، الا كان داعية الخراب » .

(٣٠) أهدى احمد بن يوسف كاتب المأمون أي وزيره ثوب وشي في يوم نوروز وكتب معه : « قد أهديت الى أمير المؤمنين ثوب وشي يصف نفسه والسلام » .

(٣١) كتب ابو الهيذام زعيم القيسيين الى أهل قرية مزة كلب وقد قطع أهلها الماء عن أهل دمشق : « الى بني استها أهل مزة ، ليسقيني الماء أو لتصبحنكم الخيل » . فوافاهم الماء قبل أن يُعتموا .

(٣٢) كتب المرواني صاحب الأندلس الى نزار العبيدي صاحب مصر ، وكان هذا كتب اليه كتاباً يسبه فيــه ويهجوه : « أما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك والسلام » .

(٣٣) ومن تهكمات الجاحظ وموجزاته كتاب له في الوصاة : « كتابي اليك مع من لا أعرف ولا أوجب حقه ، فان قضيت حقه لم أحمدك ، وان رددته لم أذمك » .

(٣٤) وكتب أيضاً في هذا المعنى : « كتابي اليك سألني فيه من أخافه لمن لا أعرفه ، فافعل في أمره ما تراه والسلام » .

(٣٥) وكتب الى ابي حاتم السجستاني وبلغه عنه أنه نال منه : « أما بعد فلو كففت عنا من غَرْبك لكنا أهلاً لذلك منك » .

(٣٦) وكتب الى ابن الزيات : « نحن أعزك الله نسحر بالبيان ونموّه بالقول ، الناس ينظرون الى الحال ، ويقضون بالعيان ، فأثّر في أمرنا أثراً ينطق اذا سكتنا ، فان المدعي بغير بينة متعرض للتكذيب » .

(٣٧) كتب ابو فراس الحمداني الى سيف الدولة ، وقد شخص من حضرته الى منزله بمنبج كتاباً صدره : « كتابي أطال الله بقاء مولانا من المنزل وقد وردته ورود السالم الغانم مثقل البطن والظهر وفراً وشكراً » .

(٣٨) كتب عبد الملك الى الحجاج : « أما بعد فقد بلغني سرفك في سفك الدماء ، وتبذير الأموال في الباطل ، ومنعك الحق ، فلا يؤنسنك بي الا طاعتك ، ولا يوحشنك مني الا معصيتك » .

(٣٩) فكتب اليه الحجاج : «أما بعد فقد وصل كتاب أمير المؤمنين ، وما قتلت الا فيه ، ولا أعطيت الا له ، فان رأى أمير المؤمنين أن يمضي لي سالفي ، ويأمر لي بما أحب في مستأنفي ، فعل ان شاء الله » .

(٤٠) وكتب عبد الملك الى بعض ولده وقد خالفه في شيء : «أما بعد فاني أمرتك بأمر فأتيت غيره ، ووصيتك بوصية فأبيت الا عصيته ، وخفت أنك بمنزلة الصبي الذي اذا أُمر بشيء أباه ، واذا نُهي عن شيء أتاه ، فيحتال له فيما ينفعه بأن ينهى عنه ، وفيما يضره أن يؤمر به ، يا سوأتي لمن هذه حاله والسلام » .

*
* *

هذه نماذج قليلة مما أثر عن البلغاء في الايجاز تخيرتها من عهود العرب يوم أصبحوا يتعلمون العربية وبلاغة القول على ما نتعلمها نحن في هذا العصر ، أي لم أستشهد بما نقل عن أهل الصدر الأول من الخلفاء الراشدين وكتابهم ، ومن كانت البلاغة سليقة فيهم ، والبلاغة متأصلة في كتاباتهم .

محمد كرد علي

دور النضج

في تاريخ الفلسفة الاسلامية

ليس في تاريخ التفكير الانساني في العصور الوسطى اسمٌ ألمعُ ولا أشهر من اسم ابن رشد . واذا كان القديس اوغسطينوس والقديس ألبرتوس الكبير والقديس توما الاكويني يتمتعون بشهرة واسعة ، فان شهرتهم هذه كانت في بني قومهم ، بل في نطاق معين محدود من بني قومهم ، أي في تاريخ التفلسف الكنسي . أما ابن رشدٍ فكان مشهوراً في الشرق والغرب معاً ، بل كان أكثر شهرة في الغرب منه في الشرق . ثم ان شهرته في تاريخ التفلسف الكنسي أيضاً لم تكن أقلَّ من شهرة القديس توما نفسه . وحسبنا أن نعلم أن الغاية الأساسية من كتابات القديس توما إنما كانتِ الردَّ على فلسفة ابن رشد تصريحاً وتلميحاً . ولولا ابنُ رشد وفلسفته العقلية التي هزت اوروبة وزعزعت سلطة الكنيسة على العقل الانساني لما احتاجت الكنيسة الى ان تعهد الى البرت الكبير والى تلميذه القديس توما بالاشتغال بالفلسفة .

أما اذا نظرنا الى تاريخ الفلسفة في جميع العصور فلا يمكن أن نرى اسماً أشهرَ ولا أعظمَ من اسم أرسطو . ومع ذلك فان اسم ابن رشد كان دائماً مقروناً باسم أرسطو . وكانت كتب أرسطو تجمع في العصور الوسطى أو تطبع في أول عهد العالم بالطباعة مع شروح ابن رشد . ولا غرو فلقد أقرَّ مؤرخو الفلسفة أن كتب أرسطو لم تكن تفهم في العصور الوسطى حق الفهم ما لم تكن مرفقة بشروح الشارح العظيم كما كان يعرف ابن رشد بين رجال العلم والفلسفة كلهم .

واذا نحن اعتبرنا ان فلسفة أرسطو وصلت الى مفكري العصور الوسطى مشوهة ممزوجة بآراء أفلاطون ومُشْتَقاتِهِ بالآراء الاسكندرانية المتأخرة ومشحونة بالأقول الدينية المحولة ، بينما فلسفة ابن رشد انتشرت بين أولئك المفكرين كما جرت على قلم صاحبها ، أدركنا أن أثر فيلسوفنا كان أعمق وأبرز . وعلى كل فان الذي هز أوروبة في العصور الوسطى كان فيلسوف العرب لا فيلسوف اليونان ، ذلك لأن الذي قَبِله فقهاء العصور الوسطى في أوروبة على أنه فلسفة أرسطو لم يكن في الحقيقة فلسفة أرسطو ، فكتاب اوثولوجيا المعروف بكتاب الإلهيات كان من عمل أفلوطين الاسكندراني ولم يكن له صلة بأرسطو ، بل لقد كان مناقضاً لرأي أرسطو . على ان الكثير من آراء ارسطو لم يعرف في اوروبة يومذاك الا من خلال الشروح التي وضعها ابن رشد على كتب أرسطو نفسه .

* * *

وابن رشد من فلاسفة المغرب ، اي من الفلاسفة المسلمين الذين اشتهروا في الأندلس وشمالي غربي افريقية منذ القرن الخامس للهجرة أو الحادي عشر للميلاد . من هؤلاء ابن حزم ، وابن باجّه ، وابن طُفيل ، وابن رشد ، وابن خلدون . ولا ريب في أن فلاسفة المغرب هم الذين مثلوا الفلسفة العقلية في العصور الوسطى أحسن تمثيل في بلاد الاسلام وفي بلاد النصرانية . وحسبنا ان نعلم ان اوروبة لم تخرج من عصورها المظلمة حتى اطّرحت أقوال مفكريها وأخذت بآراء ابن باجه وآراء ابن رشد على الأخص : لقد فك ابن رشد عِقَال الفكر الأوروبي واطلقه في جو فسيح حر ، وقال الحقائق سافرة بعض السفور ووضع مع ابن باجّه من قبله وابن خلدون من بعده ، أساساً جديداً للبحث العلمي أو قل الأساس الصحيح للبحث العلمي .

حتى فلاسفة الاسلام الكبار في المشرق فانهم لم يكونوا في الحقيقة سوى طلائع للفلسفة العقلية على الحصر . لقد كان منهم الرياضيُّ البارع كالكندي والمفكر الماديّ كالفارابي والطبيبُ العالم كابن سينا والعالم في الطبيعيات كابن الهيثم والفقيه العظيم كالغزّالي . ولكنّ لقب « فيلسوف » كان لا يزال ينتظر مجيء الرجل الذي يستحقه . ولم يستحقّه احد قبل ابن باجه .

* * *

واذا كان لكل لقب شروط فان لقب « فيلسوف » يجب ان يكون له شروط بطبيعة الحال . فليس كل من استطاع حلّ عددٍ من المعادلات الجبرية والأشكال الهندسية خليقاً بأن يدعى « رياضياً » ولا كل من عرف شيئاً من قوانين حفظ الصحة وخواصّ الأدوية كان أهلاً لأن يسمى طبيباً ثم يسمح له بتطبيب المرضى . وليس كل من درس جانباً من أمور الدين عد فقيهاً . وكذلك الحال في الفلسفة ، فليس كل من أبدى رأياً واضحاً أو غامضاً وجب أن يحتل مكاناً في معراج الفلسفة .

هنالك نفر من الناس قويَ تفكيرهم فوق ما آلِفه أندادهم ، هؤلاء مفكرون . ثم إن نفراً من هؤلاء أنفسهم تأتي آراؤهم صائبة صادقة ثم تكون عامة حتى كأنها تمثل جانباً من اختبار الانسانية كلها ؛ هؤلاء هم الحكماء . في هؤلاء أكثر أعلام الفكر الانساني ، ولقد اشتهر عند الناس طاليس الحكيم ولقمان الحكيم وسليمان الحكيم وسقراط الحكيم ودبشليم الحكيم . وكذلك اشتهر في تاريخ الأدب قولهم : أبو تمام والمتنبي حكيمان والشاعر البحتري . على أن الفيلسوف شخص آخر . هو مفكر ، وهو حكيم ، ثم هو فوق ذلك يتصف بصفات أخر . ولقد وضح لنا من خصائص الذين لم يختلف مؤرخو التفكير الانساني في تسميتهم فلاسفةً ، أمثال أفلاطون وأرسطو ، ان ثمة أربعة شروط يجب أن تجتمع في الحكيم حتى يسمى فيلسوفاً :

١ً — ان يبحث عن الحقيقة بحثاً مجرداً غير خاضع للأحوال النفسانية او الاجتماعية .

٢ً — ان يكون بحثه هذا نظرياً شاملاً لمظاهر الوجود كله .

٣ً — ان يجري في بحثه على أسس من المنطق المؤيد بالبراهين .

٤ً — ان يوجد نظاماً متماسكاً خاصاً يستطيع ان يفسر لنا به مظاهر الوجود .

فاذا نحن تقيدنا بهذه الشروط لم نستغرب اذا رأينا عدد الفلاسفة يتضاءل كثيراً ، ثم اننا واجدون حينئذ ان أمماً بأسرها قد خلت ممن يجوز ان يطلق عليهم لقب « فيلسوف » .

* * *

بدأ التفكير الاسلامي الأصيل يتبلور منذ أوائل القرن الخامس الهجري والحادي عشر الميلادي ، وبدأ المفكرون الأولون في موكب الفلسفة الاسلامية كالفارابي وابن سينا يخسرون مقامهم المرموق وخصوصاً في بحوث ما وراء الطبيعة ؛ لقد تعرض هؤلاء لردود رجال الدين كالغزالي ، ولردود رجال العقل كابن طفيل وابن رشد على السواء . ولكن الفارابي وابن سينا وأندادهما كانوا معذورين ، فالفلسفة اليونانية قد وصلت اليهم مشوهة ممزوجة بالخرافات الاسكندرانية ـ (او الفلسفة الأفلاطونية الحديثة) ـ كما يقول بعضهم .

وهذه الردود على أسس الفلسفة المشرقية بدأت في المغرب ، بدأها ابو محمد علي بن احمد بن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م) . ألّف ابن حزم كتابه العظيم المشهور « الفِصَل في الملل والأهواء والنِحَل » ليردّ على علماء الكلام وعلى المعتزلة منهم خاصة كمَعْمَر والنَظّام وابي الهُذيل العلاّف ، ثم على الأشعرية أيضاً ورأسُ مذهبهم ابو الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٣٠ هـ (٩٤١ م) . وكذلك قد رد على الطبيب محمد بن زكريا الرازي المتوفى ٣١١ هـ .

ومع ان ابن حزم قد رد على المتكلمين وعلى بعض المتفلسفين رداً دينيًّا وحمل عليهم كلهم لأنهم يخالفون ظاهر الدين في أسس تفكيرهم وفي تفاصيله ، فانه قد أتى بأحكام في بحث الزمان والمكان وفي نظرية المعرفة خاصة هي أعلى ما بلغ اليه التفكير الفلسفي في جميع عصوره . وسأقصر كلامي هنا على نظرية المعرفة [1] :

تقوم نظرية المعرفة على « السبل التي يدرك بها الانسان حقيقة الوجود وحقيقة الموجودات » أو بكلمة أوضح : نظرية المعرفة هي الطرق المنطقية التي توصلنا الى ادراك ماهية الأمور المحسوسة والمعقولة . ويرى ابن حزم ان مصادر المعرفة الظاهرة لنا أربعة :

١ً — النصوص الدينية كما هي مثبتة في القرآن الكريم والحديث الشريف .

٢ً — ما أوجبته اللغة من المعاني التي تحملها الكلمات وما اتفق عليه العرب من الفهم لدى سماعهم هذه الكلمات .

٣ً — الحس وبديهة العقل .

٤ً — الاكتساب ونقل التواتر .

أما النصوص الدينية وأما اللغة فلا تدخل في نظرية المعرفة المطلقة ، وانما هي من « طرق المعرفة » المقبولة بلا برهان . فآيات القرآن الكريم والأحاديث الموثوق بها صادقة الاخبار لا شك في ذلك ؛ ونحن نقبل ما فيها قبولاً مقروناً بالتصديق من غير تعرض للتساؤل عن أسباب ذلك ولا لإقامة البرهان عليها كما ذكر ابن خلدون في مظانّ كثيرة من مقدمته المشهورة .

---

(١) قد سبق لي الكلام على نظرية المعرفة عند ابن حزم بالتفصيل ، راجع مجلة المجمع العلمي العربي ٢٣ : ٢ (١ نيسان ١٩٤٨ = ٢٢ جمادى الأولى ١٣٦٧) ، ص ٢٠١ — ٢١٨ .

بقي لدينا «الحِسّ السليم وبديهة العقل» ثم «الاكتساب ونقل التواتر» فهذه عناصر نظرية المعرفة على الحصر . وإن الحق ليحملنا على القول بان ابن حزم قد تقدم بآرائه هذه كثيراً مما انتجته العبقرية الغربية .

فالمعرفة عند ابن حزم ، فيما يبدو اذن ، مظهران أساسيان : بديهة العقل وطريق الحواس . هنالك أمور محسوسة ومعقولة يبدو لنا أننا نعرفها بالعقل ونعرفها ضرورةً . اننا نعرف مثلاً ان العشرة اكثر من الخمسة ، وان الصدق خير من الكذب ، ثم نحن لا نحتاج في ظاهر تفكيرنا الى أدلة على ذلك . غير أننا نظن عادة ان هذه المعرفة قد جاءت من العقل مباشرة ولا صلة لها بحواسّنا ولا باختبارنا . ولكن ابن حزم يرى أن هذا الذي نظن نحن الآن اننا نعرفه بالعقل ونعرفه ضرورة يجب ان يكون من قبل قد مر بحواسنا وتجمع من اختبارنا . ولكن لما كثر تَرْداده على حواسنا برعت حواسنا المختلفة بنقله الى العقل في أقصر مدة من أيسر سبيل حتى لنظنّ انه لم يمرّ بحواسنا قط ، ولا أننا عرفناه باختبارنا . فالمعارف كلها اذن راجعة عند ابن حزم في ظاهرها وفي أساسها ، من قُرْب أو من بُعْد ، الى الحواس . وهو يشترط طبعاً ان تكون الحواس سليمة حتى تكون معرفتنا صحيحة .

وهكذا يكون ابن حزم قد حلّ أعظم مشكلة في تاريخ نظرية المعرفة ، تلك المشكلة التي زعم مؤرخو الفلسفة الحديثة ان حلها كان من نتاج عبقرية الفيلسوف الألماني كانْت Kant المتوفى عام ١٨٠٤ م . لقد كان هم هذا الفيلسوف محاولة الجواب على هذه المشكلة الكبرى : «كيف تكون الأحكام المبنية على الاختبار الحسي ممكنة بالبديهة» . ولقد حل «كانت» هذه المشكلة حينما استنتج ان المعرفة التي نعتقد انها تأتي من العقل راجعة في الحقيقة الى اختبار اكتسبناه من طريق الحواس في زمن متقدم جداً .

على ان ابن حزم قد جاء قبل كانت Kant بسبعة قرون ووقف أمام المشكلة نفسها ثم حلها حلاً صحيحاً ينقصه بلا شك بسط القول وشكل المنطق اللذان امتاز بهما الفيلسوف الألماني « كانت » ، ولكن لا تنقصه العبقرية المبدعة والبصيرة الناقدة .

* * *

ولم تكن النقمة على أساليب التفلسف المشرقي قاصرة على الاندلس ، بل قام في المشرق نفسه من حمل على المعتزلة من أصحاب الكلام ثم على الفارابي وابن سينا خاصة حملات شديدة . ذلك هو حجة الاسلام الغزّالي .

والغريب ان ابن حزم والغزالي - على بعد الدار بينهما واختلاف زمنهما وفقدان الدليل على ان يكون الغزالي قد اطلع على ما كتبه ابن حزم - كانا متقاربين جداً في موقفهما من الفلسفة القديمة وفي سعيهما الى وضع أسس للمعرفة .

ولد الغزالي بعد وفاة ابن حزم بنحو ست سنوات وعاش في زمن مضطرب جداً وشهد الجحافل الصليبية تدخل بيت المقدس قبل ان يتوفى باحدى عشرة سنة . ولقد هال الغزّاليّ أن يرى الشباب في أيامه منصرفين عن الدين يهملون أداء الصلوات ويتهاونون في سائر العبادات . ثم ظن أن سبب ذلك تفشي الفلسفة بين الناس . لذلك استنتج ان الدواء الحقيقي لهذا الداء انما هو في تنفير العامة من الفلسفة بتبيان ما فيها من اخطاء وضلال . وسواء أنجح الغزالي في تهديم الفلسفة أم لم ينجح فانه قد ترك في زمنه وبعد زمنه دوياً شديداً . ونحن نعلم ان النهضة الحقيقية للفلسفة في المغرب انما كانت في أساسها ردّ فعل لموقف الغزالي من الفلسفة القديمة .

وبما ان الغزالي شاء ان يرد مظاهر التفكير الى الدين — كما شاء ابن حزم من قبله — فلم يكن من المستغرب ان يلتقيا كثيراً في آرائهما . من ذلك

مثلاً أنهما أنكرا ان يكون للكواكب نفوسٌ وأنها تعقل وان بامكاننا ان نعرف من منازلها ومسيرها ما سيأتي به المستقبل ، مع ان هذه العقيدة كانت شائعة عامة منذ أيام اليونان الى أيام ابن حزم والغزالي ثم الى ايام ابن رشد في الاسلام ، ثم الى القرن الثامن عشر في أوروبة . ومما يؤخذ على ابن رشد في هذا الباب انه خطّأ الغزالي في ذلك مع ان الغزالي كان مصيباً وابن رشد كان مخطئاً .

واشتهر الغزالي بنظريته في الشك :

للغزالي كتاب صغير الحجم اسمه « المنقذ من الضلال » هو أحسن ما كتب الغزالي فى الفلسفة ومن احسن ما كتب في الفلسفة أيضاً . ولو أن الغزالي اكتفى بهذا الكتاب ولم يؤلف سواه لكان مقامه في تاريخ الفلسفة أجلّ من مقامه الحالي . ان كتب الغزالي من أمثال احياء علوم الدين وتهافت الفلاسفة وكيمياء السعادة وفضائح الباطنية قد كسبت للغزالي لقب حجة الاسلام ولكنها لم تزد شيئاً في مقامه الفلسفي ان لم تكن قد غضّت قليلاً من ذلك المقام .

لما هال الغزاليّ ان يرى الشباب منصرفين عن الدين مستخفين بأوامره ونواهيه أراد ان يعرف سبب ذلك . ولم يطل الأمر بالغزالي حتى صرح بان الانسان عادةً لا يختار الدين الذي يريده ، وانما ينشأ على الدين الذي يرثه من ابويه وأستاذيه ، بلا تفكير . فقال : هل هنالك سبيل الى معرفة الفطرة الحقيقية للدين ؟ ولكن قبل ان يجيب الغزالي على هذا السؤال عرض له سؤال آخر أو جواب لسؤال آخر على الأصح ، فقال في نفسه : قبل ان نعرف صواب شيء من فساده يجب ان يكون لدينا آلة تميز الصواب من الخطأ تمييزاً مطلقاً . أما الآلة الأولى المتعارفة بين الناس وهي « تقليد الآباء » فلم يبق لها قيمة بعد ان قام دليل من حِسّنا على انها فاسدة . فالناس لا يقلدون آباءهم في

الصواب دون الخطأ بل يقلدونهم في كل شيء . فالتقليد اذن لا يميز الخطأ من الصواب .

وهنا برزت في خيال الغزالي فكرة جديدة : لقد دلنا الحس على ان التقليد فاسد فهل الحس نفسه مأمون في كل شيء ؟ واستعرض الغزالي ما حوله فوجد أن الحواس تتفاوت في اكتشافها الخطأ والصواب ، ولكنه وجد ايضاً ان اقوى هذه الحواس وهو البصر يخضع لخداع كبير . فالانسان ينظر الى الظل مثلاً فيراه ساكناً لا يتحرك ، وينظر الى النجم فاذا هو صغير جداً . ولكن العقل يدلنا دلالة واضحة على ان الظل يتحرك قليلاً قليلاً ، ولكن العين لا تكتشف حركته . وكذلك النجم فانه أكبر من الأرض كثيراً ولكن البصر وحدَه لا يدرك ذلك . عندئذ قال الغزالي في نفسه : ان الحواس ايضاً لا ثقة بها بعد أن قام دليل من العقل ضعفها وانخداعها . ثم استقر الغزالي حيناً الى الثقة بالعقل .

بعدئذ بدت أمام الغزالي قضية شكلية ، ولكنها قضية من أشد القضايا خطراً في تاريخ التفكير الانساني ، فقد قال الغزالي في نفسه : لقد وثقت انا الآن بالعقل ولم يقم دليل عندي على ان حكم العقل فاسد . ولكن هل يكون فقدانُ الدليل على فساد امرٍ ما دليلاً على صوابه ؟ واستعصى الجواب على الغزالي واضطربت نفسه فدخل في دور من الشك في كل شيء ، حتى انه بعد ذلك لم يستطع ان يثبت امراً وأن ينفيه لا من طريق التقليد ولا من طريق الحس ولا من طريق العقل .

قال الغزالي : « فحاولت لذلك علاجاً فلم يتيسر ، اذ لم يكن دفعه (دفع ذلك الشك) الا بالدليل ، ولم يمكن نَصْبُ دليل إلا من تركيب العلوم الأولية . فاذا لم تكن (تلك العلوم الأولية) مسلَّمة لم يمكن ترتيب

الدليل . فأعضل هذا الداء ودام قريباً من شهرين انا فيهما على مذهب السفسطة بحكم الحال لا بحكم النطق والمقال ، حتى شفى الله من ذلك المرض وعادت النفس الى الصحة والاعتدال و رجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقاً بها على أمن ويقين . ولم يكن ذلك بنظم دليل وتركيب كلام بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر ، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف »[1] .

لقد بدت عبقرية الغزالي هنا في أجلى مظاهرها : انه لم يشأ أن يأخذ بأمر من الأمور المحسوسة او المعقولة الا بدليل . وكان المنتظر من الغزالي ان يستثني الاسلام من ذلك فلا يغامر بأثمن شيء يملكه في طلب دليل قد يخرج منه ظافراً ، وقد لا يخرج ظافراً . ولكن ثقة الغزالي بدينه وبطريقة بحثه وبدليله كانت عظيمة جداً حتى أن إخضاع الاسلام للدليل العقلي لم يكن في رأيه مغامرةً قط .

ويبدو فضل الغزالي جلياً اذا وازنا بين نظريته هو في الشك وبين نظرية القديس اوغسطينوس من قبله أو ديكارت من بعده في الشك أيضاً .

ان الغزالي قد شك في ما ورثه من عقائد وفي ما عرفه من طريق الحس وفي ما وصل اليه من طريق العقل ، ثم لم يعد الى اليقين الا بعد ان انفتح له سبيل جديد من سبل المعرفة ، من خارج نفسه وبغير ارادة منه .

أما اوغسطينوس (ت ٤٣٠ م) فقد رأى ان في الانسان حواسّ ظاهرةً وحواسّ باطنةً فوقها ، ثم عقلاً فوق هذه جميعها يحكم في محسوساتها . وهو الى هذا الحد قريب من الغزالي . ثم يمضي اغسطينوس في تحليله فيقول : « ولكن العقل الانساني يجد شيئاً أسمى منه ، اذ هو متبدّل يدرك تارة ويقصر أخرى ، ويسعى حيناً الى المعرفة » . ولذلك ينصح اوغسطينوس احدنا ويقول له :

---

(١) المنقذ ١٣ — ١٤

« اذا رأيت طبيعتك متبدلة فارْقَ بنفسك الى المصدر الخالد لنور العقل » .
والمأخذ على اغسطينوس ـ شكليًا على الأقل ـ قائم في أن الشيء المتبدل القاصر لا يمكن ان يكون حكماً ، بل لا يمكن ان يهتدي الى طلب المعرفة . وما دام الشك قد تطرق الى مقدرة العقل فلا يجوز لنا ان نرجع الى العقل نفسه لنعرف به .

والعجيب ان ديكارت المتوفى عام ١٦٥٠ م ، والذي اشتهر في تاريخ الفلسفة الأوروبية بانه واضع أساس البحث العلمي ، قد غفل عن هذا الفرق الدقيق الذي لحظه الغزالي في نظرية الشك . يبدأ ديكارت كما بدأ الغزالي قبله بخمسة قرون ونصف قرن فيقول : « لندع الشكّ يتسرب الى كل اقتناع ، بل الى كل عقيدة فينا . ولكن لنهاجم شكوكنا واحداً واحداً ولنحاولْ ان نَصْرِفَها . على اننا اذا لم نستطع أن نصرف هذه الشكوك فاننا بلا ريب نصل الى حقيقة واحدة ، تلك هي أننا نفكر بينما نحن نشك . ويقوى ذلك في نفوسنا حتى لنستطيع ان نشك في أن لنا أيدياً وأرجلاً او في اننا نيام او يقظى . ثم نستطيع ان نشك في جميع هذا العالم المادي الذي حولنا ، ولكن لا نستطيع ان نشك في أننا نشك » . ثم قال ديكارت : وبما ان الشك هو أقوى دلائل التفكير ، فأنا إذ أشكُّ أفكر . وبما انني أفكر فأنا موجود .

ان ديكارت يأتي ـ من الناحية الشكلية ايضاً ـ متأخراً عن الغزالي في نظرية الشك ، اذ كيف يجوز له ان يشك ثم يظل مستبقياً شيئاً من الرقابة على شكه ؟ ثم كيف عرف ان تفكيره الذي دله على شكه كان صحيحاً . هنا أيضاً نرى عبقرية الغزالي تتجلى : ان الغزالي لما شك في كل شيء في داخله قد تلقى سبل المعرفة من الخارج . وهذا أحسنُ اتساقاً في السبيل الى « نقد التفكير والوصول الى الحق » .

وهكذا نرى ان ابن حزم في المغرب والغزاليّ في المشرق كانا يمثلان دوراً وسطاً في تاريخ التفكير الاسلامي . ان تفكيرهما كان صورة للنزاع الذي قام في خفايا النفس الاسلامية بين الاستمرار في بناء التفلسف على الدين وبين جعل التفلسف مطلقاً خالصاً من كل قيد . ومع أنهما قد قصدا الدفاع عن الدين فانهما قد وضعا أسس الفلسفة العقلية . ولكن المشرق في ذلك الحين كان قد أدى رسالته في العلم والتفكير ثم غرق في الحروب الصليبية ، فانتقلت العناية بالفلسفة الى المغرب خالصة من شوائب الجدل . ولم تكن أحوال المغرب السياسية احسن من أحوال المشرق ، فلقد كانت الحروب والمنازعات في الأندلس وشمالي أفريقية قائمةً على قدم وساق أيضاً . إلا أن المغاربة عُنوا بالفلسفة عناية فائقة ونَسُوا سوء أحوالهم المادية حينما سمت بهم عقولهم الى البحث عن الحقيقة والى اقامة أسسٍ للحياة العقلية تنحو بالناس نحو السعادة الحقيقية .

* * *

وأول المفكرين في تاريخ الفلسفة الاسلامية استحقاقاً للقب فيلسوف هو ابن باجه . لقد أدرك ابن باجه ان التفلسف الذي سبقه كان قائماً في الدرجة الأولى على الجدل وانه كان مغلولاً بالنظريات الدينية المتشعبة . ثم أنه كان فوق ذلك مشوهاً بارضاء العامة . ولقد كانت تغلب على التفلسف نزعة أدبية ، فكان الفيلسوف يبحث في كل شيء بحثاً غير منسق ولا متسق ولا محدود . من أجل ذلك نحا ابن باجّه في فلسفته نحو الأسس التالية :

١ً — أراد أن يجعل التفلسف منظماً ذا قواعد ، فبنى التفكير على أسسٍ من العلوم الرياضية والطبيعية : بينما كان التفلسف من قبله مبنياً في الأكثر على الجدال ومسوقاً في قوالب النحو والبلاغة وخاضعاً للنفسية الأدبية التي تستمد قوامها من الروايات المختلفة عن أئمة الأدب ومن الأخذ بآراء المتقدمين .

وهكذا جعل ابن باجّه التفلسف علماً موضوعياً ذا نطاق محدود يقوم على أسس المنطق ويستمد براهينه من قضايا العلوم العددية والطبيعية لا من أقوال الرواة والأدباء والمؤرخين .

٢ً — فصل في البحث بين الدين والفلسفة فجعل البحث الفلسفي مستقلاً ولم يتعرض في أثناء بحثه لقضايا الدين ، إذ اعتقد ان الدين عالم آخر مستقل . فالدين يختلف عند ابن باجّه عن الفلسفة في مصادره وفي عناصره وفي طرق البحث وفي غايته اختلافاً مطلقاً . ولم يُقِم ابن باجّه وزناً للتصوف .

٣ً — عزل ابن باجه العامة عن الفلسفة ، لقد كان نفر من المشارقة يتوجهون في كتاباتهم الى العامة كعلماء الكلام وإخوان الصفا والغزالي ، او يرهبون جانب العامة فيلقون على تفلسفهم ستاراً رقيقاً أو كثيفاً من التقية والرمز كالفارابي وابن سينا وابن طفيل المغربي أيضاً . أما ابن باجه فتوجه بكتاباته ومناقشاته الى الخاصة وأقام وزناً للفرد المفكر وحده لا للمجموع الكبير من العامة وأشباه العامة . ولنا في كتابه المشهور « تدبير المتوحد » دليل واضح على ذلك . ان ابن باجه قد أدرك ان البيئة العامة لا تؤاتي التفكير ، فعلى الأفراد من ذوي التفكير الناضج أن يعتزلوا بيئة العامة وأن يعيشوا وحدهم في بيئة خاصة حسب ما يقضي العقل والطبيعة ، لا حسب ما يفرضه المجتمع المثقل بأحوال الرياء وبالخرافات . وكذلك أوجب ابن باجه ان تكون الفلسفة للبحث عن الحقيقة واللذّة الخاصة بالفيلسوف الباحث لا لإرضاء العامة لاستغلالهم أو للتكسب منهم .

٤ً — وكان الفلاسفة قبل ابن باجه يكتبون في كل شيء ، فعمد هو الى الاختصاص وبدأ بالأسس فوضع نظرية المعرفة ، واستمد براهينه من الرياضيات ، وتوسع في فلسفة ما وراء الطبيعة ، في ناحية الوجود المطلق لا في ناحية الالهيات .

لقد اعتبر ان الإلهيات التي هي فرع من الدين خارجة عن نطاق الفلسفة الصحيح .

٥ — وكانت طبيعة القيود التي قيد ابن باجه بها نفسه تدعو الى الايجاز وخصوصاً بعد أن استغنى عن الأساليب الجدلية والخطابية والأدبية الضرورية للتأثير في العامة وأخذ بالأسلوب العلمي واتبع البحث المطلق .

٦ — وعالج ابن باجه الناحية التي تعرض لها من فلسفة ما وراء الطبيعة بصراحة ، مما دل على أن آراءه في ذلك تناقض ظاهر الدين . فكان هذا الخروج على المألوف حجة في يد آل زُهْر حتى يسعوا في قتله تخلصاً من مزاحمته لهم في التطبيب .

لنأخذ الآن رأي ابن باجه في الأخلاق :

يرى ابن باجه ان الفرد يقوم بأعماله إما مدفوعاً اليها بشوق أو رغبة أو شهوة ، او بانفعال أي بدافع جسدي . وهذه دوافع يشترك فيها الانسان والحيوان البهيم ، فاذا قام الانسان بأعماله مدفوعاً بهذه الدوافع فعمله بهيمي . ويدخل في ذلك الطعام والشراب والاستفراغ والانتقام وطلب الجاه وما الى ذلك . ولكن اذا قام الانسان بأعماله بعد رَوِيَّةٍ توجب تلك الأعمال ، ثم أقدم عليها بارادة من نفسه فعمله انساني . ويضرب ابن باجه لنا مثلاً على ذلك فيقول : إذا مر انسان بين أشجار ثم اتفق أن خدشه عود ناتئ ، فاذا ظل الانسان هادئاً ثم كسر ذلك العود لئلا يخدش أحداً غيره فعمله هذا انساني ، وهو من الاخلاق الحميدة . ولكنه اذا انفعل ثم كسر ذلك العود مغيظاً محنقاً فعمله هذا بهيمي ، وهذا من الأخلاق الرديئة .

على ان ابن باجه يرى أن اعمال الانسان لا يمكن ان تكون انسانية خالصة ولا بهيمية خالصة ، بل يجب ان يكون في كل عمل يقوم به الانسان جزء انساني وجزء بهيمي . وتزداد قيمة الفرد بازدياد نسبة الجزء الانساني في أعماله على الجزء البهيمي . أما الذي يعمل أعماله بعد رَوِيَّةٍ خالصة وبإرادة

مطلقة من غير ان يلتفت الى رغباته البهيمية فأعماله أخلق بأن تسمى إلٓهية . ثم ان ابن باجه يرى أن شيئاً من الرغبة البهيمية ضروري في الانسان ، لأن ذلك يجعل الانسان أقوى على القيام بأعماله كلها ، ثم هو يفسح المجال أمام الجزء الانساني فيه ليكون متغلباً على الجزء البهيمي ومستخدماً له .

وكان ابن طفيل معجباً بابن باجه وبفلسفته ، مع انه لم يلقه شخصياً . ولابن طفيل كتاب واحد طريف مشهور اسمه « حي بن يقظان » وهو قصة تدور على ان الإنسان ذا الفطرة الفائقة يستطيع ان يصل بنفسه ، ومن غير معلم ، الى أدق المدارك الحسية وأسمى المدارك العقلية . والقصة في الحقيقة لا تمثل حياة فرد ولكنها تمثل تطور الانسانية في أدوارها المختلفة .

ورأى ابنُ طفيل ان ابن باجه قد توسع قبله في نظرية المعرفة وتبسط في الرياضيات وفي حقيقة الوجود ، فانصرف هو الى التوسع في علم الفلك وفي علم الطبيعة . ولقد استنتج ابن طفيل ان الأرض كروية وان العالم كله كروي وانه متناه (بينما كان ابن باجه قد استنتج ان العالم غير متناه) . ثم تعرض لنشوء الحياة نشأة طبيعية مرتجلة وتبسط تبسطاً كبيراً في الإلهيات وفي الكلام على العامة والخاصة . ولكن لا ريب في ان الغاية الأساسية في قصة حي بن يقظان هي ان يبين ابن طفيل صلة الحكمة بالشريعة (أي ما بين الفلسفة والدين من اوجه شبه او خلاف) .

ومؤدى رأي ابن طفيل ان الدين وازع اجتماعي للعامة ، إذ هو يقول : « فان حظ اكثر الجمهور من الانتفاع بالشريعة انما هو في حياتهم الدنيا ليستقيم لهم معاشهم ولا يتعدى بعضهم على بعض في ما اختص به كل واحد منهم دون اخوانه » .

وكذلك يرى ابن طفيل ان الدين ظاهراً وباطناً وان الدين يضرب للناس أمثلة فقط ، امثلة هي خيالات الحقائق . ثم ان الدارس لرسالة حي بن يقظان يرى ان الانسان ذا الفطرة الفائقة يستطيع أن يصل بعقله وحده الى ما جاء به الأنبياء ، ولذلك كان الدين عند ابن طفيل للعامة ، اما الخاصة فلهم الفلسفة . على أن الانسان اذا تأمل الغاية من الدين والغاية من الفلسفة وجد أن الدين والفلسفة ينحوان نحو سعادة البشر . فالغاية العملية من الدين ومن الفلسفة واحدة ، ولكن الدين يختلف من الفلسفة اختلافاً أساسياً في سبله وفي تفاصيل الأسس التي يقوم عليها . غير أن للدين فضلاً عن الفلسفة هو أنه يهيئ سعادة الكثرة المطلقة من البشر ، بينما الفلسفة لا تستطيع ان تسعد الا افراداً قليلين ذوي استعداد خاص .

* * *

وكان ابن رشد تلميذاً لابن طفيل ، فابن طفيل هو الذي وجه ابن رشد نحو الفلسفة العقلية وحثه على الاشتغال بالفلسفة القديمة ، وخصوصاً فلسفة أرسطو .

ليس ابن رشد اكبر فلاسفة الاسلام فحسب ، بل هو احد كبار الفلاسفة على الاطلاق . واذا نحن اعتبرنا القيمة الحقيقية والأثر الصحيح ، مما تركه ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى فعمل بذلك على خروج اوروبة من ظلمات التقليد الى نور التفكير ، وجب ان نضعه مع افلاطون وارسطو وكانت في صف واحد ، وان نرفع هؤلاء ـ في الفلسفة العقلية ـ فوق كل فيلسوف آخر .

استعرض ابن رشد التفكير الاسلامي فألف في الفقه كتاب المقدمات الممهدات وهو كتاب لا يخرج ابن رشد فيه عن مألوف الفقهاء في الموضوعات التي تناولها . أما في الفلسفة فقد كان له موقف آخر ، وهذا يتفق مع الاتجاه المغربي في التأليف من الفصل عند البحث بين الأمور الدينية وبين الأمور الفلسفية .

وجاء ابن رشد الى الفلسفة فنقدها او ردّ على عدد من رجالها كالفارابي وابن سينا او كالغزالي خاصة ، وذلك في كتابه « تهافت التهافت » . وكذلك تعرض للصلة بين الدين والفلسفة في رسالة « فصل المقال في ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » ، ثم في رسالة « الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة » . ونحن نستطيع ان نقول ان فلسفة ابن رشد قد انطوت على جميع ما جاء في الفلسفة المغربية منذ أيام ابن باجه ، في أسس نظرية المعرفة وفي طبقات الخاصة والعامة وفي الصلة بين الدين والفلسفة وفي علم الوجود ، ولكنه توسع توسعاً خاصاً في بحوث ما بعد الطبيعة كالمكان والزمان وقدم العالم وفي الاسباب والعلل وفي الروح والنفس والعقل وفي الخلود .

ولم يكن ابن رشد عَلَماً في زمانه وبين أترابه فحسب بل كان قمة شاهقة في تاريخ الفلسفة كلها . واذا لم يكن بالامكان عرض فلسفة ابن رشد تامة او شبه تامة هنا ، فانني أحب في هذا المقام ان اشير اشارة خاصة الى رأي ابن رشد في الزمان . قال ابن رشد : « ان الزمان معنىً ذهنيٌ لا وجود له على الحقيقة .... والزمان شيء يفعله الذهن في الحركة .... لأن الزمان ليس شيئاً غير ما يدركه الذهن من هذا الامتداد المقدر للحركة .. فالزمان ليس بذي وضع » . ولا ريب في ان من عبقرية الفيلسوف الألماني كانت (ت ١٨٠٤ م) انه قال في المكان والزمان انهما ليسا شيئاً في ذاتهما ، بل هما وعاءان كبيران يحتويان على جميع الحقائق المحسوسة والمعقولة ، وانهما وعاءان بلا قعر ولا جوانب . ثم انه قال فيهما انهما في الحقيقة فكرة خالصة تمكننا من تخيل الأشياء مرتباً بعضها قرب بعض او منسوقاً بعضها خلف بعض . على أن هذا الذي قال به كانت في اواخر القرن الثامن عشر قد أعلنه ابن رشد منذ القرون الوسطى ، منذ تلك العصور المظلمة قبل عصر الاكتشافات والنور .

وكذلك عرض كانْت موضوعات الفلسفة على المنطق والعقل ثم استنتج ان ثمة ثلاثة أمور طالما شغل الفلاسفة بها انفسهم وهي : الله والنفس والخلود ، من غير ان يتفق اثنان منهم على وجه واحد منها . من اجل ذلك نصح كانْت للفلاسفة بألا يبحثوا في هذه الأمور ، لا لأنها امور لا حقيقة لها بل لأنها أمور وراء اختبار العقل الانساني ووراء الأدلة المنطقية . ولعلك تعجب أشد العجب اذا علمت ان ابن رشد قد أسدى هذه النصيحة نفسها الى المفكرين قبل كانْت بستة قرون وبضع سنين . ثم يمضي ابن رشد في التعليق على نصيحته هذه فيقول : يجب ان يعتقد الانسان بالله ويؤمن بالنفس ويصدق بالخلود ، ولكنه يجب ان يأخذ هذه الأمور من طريق الايمان المطلق من غير ان يتطلب عليها براهين منطقية عقلية . انك لا تستطيع ان تبرهن على خلود النفس بعد الموت كما تستطيع ان تأتي بالبرهان على وجود الملح في ماء البحر مثلاً .

وابن رشد يعلل ذلك كله فيقول ان هذه الأمور (اي الايمان بالمُغَيَّبات) مبادئ للشرائع . وبما أن الشرائع تنحو نحو تهذيب البشر فيجب الاّ يتعرض لها احد بسؤال ولا طلب دليل . ومما لا ريب فيه عندنا ابداً ان هذه الأمور الثلاثة فوق طور العقل ولا يمكن للبشر أن يحيطوا علماً بها ، ولذلك رأى ابن رشد أن لا فائدة من البحث العقلي فيها .

وعَظُم أثر ابن رشد في الغرب خاصة حتى أثار فيه حركة دامت اربعمائة عام . أما الذي شغل اوروبة من آراء ابن رشد فأمور ثلاثة أولها : أزلية العالم ، أي أن العالم كان موجوداً دائماً : إنه لم يوجد بعد ان لم يكن ولا مرّ في الزمن وقتٌ كان العالم فيه معدوماً .

ثم شغل اوروبة من آراء ابن رشد وحدة العقل البشري . ومؤدى ذلك ان أشخاص الناس لا تخلد بعد الموت ، وأن الخلود للعقل المطلق فقط . لقد كان

لهذه النظرية خطر على الدين هابته الكنيسة هيبةً شديدة . إننا اذا قبلنا ذلك قبلنا معه ان يكون أفراد الناس بعد موتهم متساوين ، وانهم جميعهم يخسرون شخصيتهم التي كانت لهم في الحياة . هذه النظرية في حقيقتها لا تخالف الاسلام بأدلة كثيرة منها قوله تعالى : « وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ من قَبْلِهِ الرُّسُلُ . أفإنْ مَاتَ أوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً . وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ » . وكذلك جاء في الحديث : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث : صدقة جارية او علم نافع او ولد صالح يدعو له » .

على ان الأمر في النصرانية على خلاف ذلك . فالكنيسة تقول بأن القديسين يأتون بالعجائب وهم موتى كما كانوا يأتون بها وهم أحياء : انهم يشفون المرضى ويمنحون البركات ويظهرون للناس . أضف الى ذلك كله ان العقيدة المسيحية مبنية على اعتقاد الكنيسة بموت المسيح ثم قيامه من الموت . من أجل ذلك كان من المنتظر ان تقاوم الكنيسة نظرية وحدة العقل وضياع الشخصية الفردية بالموت .

والأمر الثالث الذي شغل ابنُ رشد به العقل الأوروبي كان نظرية الحقيقتين ، وذلك أن هناك أموراً تصحُّ في الفلسفة ولا تصح في الدين كالقول بقدم العالم مثلاً . ثم ان هنالك أموراً تصحُّ في الدين ولا تصح في الفلسفة كالعبادة على شكل مخصوص .

وأخذت اوروبة فلسفة ابن رشد كاملة ، ولم يتفق ذلك لأحد من قبله ، حتى أرسطو ، فان فلسفته لم تقبل في العصور الوسطى كاملة ولا شبه تامة ، وهكذا نشأ المذهب الرشدي في اوروبة وتعلق المفكرون الغربيون بفلسفة ابن رشد . وكان مركز المذهب الرشدي في جامعة باريس . أما اشهر اتباع ابن رشد فكان سيغو البرابنتي ثم كان منهم بواتيوس داسيا دبرنيير دي نيفل ورامون لل وسواهم ممن هم أقل منهم شهرة .

وسرعان ما راع الكنيسة ، أن ترى فلسفة ابن رشد تنتشر بين المفكرين ، فأصدر المجمع الاقليمي في سانس بفرنسة (على نهر بون أحد روافد السين) منشوراً بتحريم قراءة كتب أرسطو وشروحها لابن رشد لأول مرة عام ١٢١٠ ، اي بعد وفاة ابن رشد باثني عشر عاماً . ثم اعيد نشر هذا التحريم بعد خمسة أعوام . ولا ريب في ان المقصود الحقيقي بهذا التحريم كان ابن رشد لا أرسطو ، فكتب أرسطو كانت معروضة من قبل ولم تحرم . ولكن شروح ابن رشد على كتب ارسطو هي التي روعت الكنيسة لأنها جعلت لكتب ارسطو قيمة عملية . على ان الناس ظلوا يقرؤون كتب ابن رشد وينشرون ما فيها من آراء ثم يحلونها مركزاً أسمى من المركز الذي كان للكتب التي كتبها فقهاء أوروبة أنفسهم . وظلت فلسفة ابن رشد نبعاً فياضاً في أوروبة قرنين كاملين . ولقد جهدت الكنيسة بكل سبيل أن تطمس آراءه فلم تستطع ، على الرغم من الحرمان الذي هددت به أشياعها صراحة في الأعوام ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ للميلاد ، ان هم قرؤوا كتبه .

وأخيراً ادركت الكنيسة ان العلم لا يقاوم بالحرمانات ، فعهدت الى رجالها بأن يدرسوا الفلسفة ليردوا على آراء ابن رشد ويسوّدوا صفحتها في أعين العامة ، فكان ممن يتعرض لابن رشد بالرد على آرائه ، وبتحريض من الكنيسة ، دنس سكوتوس والبرت الكبير والقديس توما ، ولم يستطع هؤلاء أن يخمدوا التفكير ولا ان يطفئوا نور ابن رشد بأقوال واهية ، فانقلبوا يشتمونه . فكان دنس سكوتوس يصفه بقوله : ابن رشد الملعون . ولم يحجز القديس حاجزٌ دون أن يذكر ابن رشد ويقول إنه كَلْبٌ كَلِب ينبح على النصرانية .

ولكن هذا لم يمنع الناس من تدارس فلسفة ابن رشد ، ولا منع آراء ابن رشد في أن تفعل فعلها في العقل الأوروبي .

* * *

وهدأ التفكير الفلسفي في الاسلام بعد ابن رشد مائة وخمسين عاماً حتى جاء عبد الرحمن ابن خلدون فوضع مقدمته المشهورة . ولكن ابن خلدون يحتاج الى بحث مستقل ، فان هذا الدور لا ينتظمه ، ولأن ابن خلدون ، فوق ذلك ، عالم اجتماعي لا فيلسوف ماورائي .

ان فلاسفة هذا الدور الذي ألممنا به يمثلون في العصور الوسطى ما مثله سقراط وافلاطون وارسطو في العصور القديمة . واذا علمنا ان العلم اليوناني كله من ثاليس الى أقليدس الى أرسطو لم يُعرَف في العصور الوسطى إلا من خلال الفلسفة الاسلامية وفي شروح ابن رشد على الأخص ، أدركنا أيّ رسالة أداها فلاسفة الاسلام في التفكير الانساني .

ولعل أداء الرسالة هي النعمة الوحيدة التي لا مِنّة فيها على احد ، بل هي واجب صاحب الرسالة نحو قومه ونحو غير قومه على السواء . ولا فائدة من الحقيقة إذا لم تعرف كما قال ابن رشد نفسه . واما الذين لا يستطيعون ان ينتفعوا برسالة العقل فلا لوم عليهم لأن رسالة العقل ليست لجميع الناس .

ولقد أنصف ابن رشد نفسه وأنصف الناس لما قال :

يكفي أن يأخذ هذا العلم عني رجل واحد ! ..

الدكتور عمر فروخ

كتاب

« الجوهرتين العتيقتين »

لأبي محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني اليمني

المتوفى سنة ٣٣٤ ﻫ تقريباً

لا تقف شهرة الهمداني على حدّ علمي التاريخ والجغرافية ؛ اللذين دال على سمو منزلته فيهما بكتابيه : « الاكليل »[١] و « صفة جزيرة العرب » ؛ فقد ضرب بسهم وافر في جميع ضروب المعارف في زمنه ، ولا سيما في العقول العقلية . ويقول صاعد الأندلسي في كتاب « طبقات الأمم » انه لم ينبغ من العرب في تلك العلوم سوى ابي اسحاق الكنديّ وابي محمد الهمداني . والقاء نظرة على أسماء مؤلفات الهمداني تكفي للتدليل على تنوع معارفه ، فمن مؤلفاته :

١ — « صفة جزيرة العرب » و « المسالك والممالك » في الجغرافية .

٢ — « الاكليل » و « القصيدة الدامغة على معدّ والفرس »[٢] في التاريخ .

٣ — « ديوان شعر » شرحه ابن خالويه النحويّ ـ في الأدب .

٤ — « الزّيج » في علم الفلك .

٥ — « سرائر الحكمة » في الفلسفة .

٦ — « كتاب الابل » و « كتاب الحرث والحيلة » في الحيوان والنبات .

٧ — « كتاب الجوهرتين » في التعدين .

---

(١) في مجلة « المجمع العلمي العربي » بحث عن الاكليل في الجزء الأول ص (٧٠) من المجلد الخامس والعشرين .

(٢) موجودة في مكتبة « متحف الأمة بباريس » ذكرها « اوسكار لوفجرن » في كتابه عن الهمداني .

وأريد بهذه الكلمة أن أصف نسخة طالعتها من هذا الكتاب القيم ، الذي يدل دلالة واضحة على ان اسلافنا الصالح آثاراً نافعة ؛ في جميع العلوم ، وإن شاب تلك الآثار نقص ، او اعتراها ضعف في بعض المواضع إلا أن مرد ذلك ثقة أولئك السلف بكل ما أُثر عن اليونان من حكمة وفلسفة ، ثقةً دفعتهم الى تلقي كثير من علومهم بدون تحقيق ، وبغير تمحيص . كما يظهر من صنيع الهمداني في مواضع من كتابه هذا .

يوجد من هذا الكتاب نسختان ، احداهما في مكتبة « ميلان » في ايطالية ، والأخرى في مكتبة « ابسالة » في السويد ، ومنها صورة في « دار الكتب المصرية » [1] رقمها (٩٠٧ طبيعة) . تقع في (٨١) لوحة ، في كل لوحة صفحتان سوى اللوحة الأخيرة ففيها صفحة واحدة ، وتتراوح سطور الصفحة الواحدة بين ٢٠ و ٢١ سطراً ، يحوي السطر ما يقرب من احدى عشرة كلمة ، ونوع الخط تعليق ـ بين النسخ والرقعة ـ سوى العناوين فهي مكتوبة بالثلث ، والكاتب يمني من أهل القرن التاسع الهجري ، لم يسمّ نفسه . وهو لا يكتب الهمزة مطلقاً ، ولا يفرق بين الضاد والظاء ، ويتحرّى الدقة في كتابته فيضع علامة الاهمال فوق بعض الحروف المهملة بشكل « ٧ » وتحت بعض الحروف نقطة ويُشكّل بعض الكلمات ، ويضع فواصل الجمل نُقَطاً ، وفواصل المواضيع حرف « ﻫ » ومع تحرّيه للدّقة والضبط وقع في كتابته كثير من التحريف ، وخاصة في اسماء المواضع ، وفي الكلمات الاصطلاحية الغريبة ، التي وردت في مواضع كثيرة من الكتاب ، مهملةً من الشكل والاعجام ، فأصبحت غير مفهومة .

---

(١) نقل معهد المخطوطات في الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية نسخة مصورة عنها في الفيلم رقم (١٠٣٩) .

أول الكتاب ـ في اللوحة الأولى ـ بعد أحد عشر سطراً من كتاب آخر ـ ما هذا نصه : (وافق الفراغ منه أول شهر جمادى الأولى من سنة ٨٩٨ ويتلوه كتاب الجوهرتين المائعتين من الصفراء والبيضاء تأليف الشيخ الامام العلامة ابي محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني العبدي البكيلي تغمده الله بغفرانه) وفي الصفحة الأولى من اللوحة الثانية بعد البسملة (الحمد لله خالق الخلق ، وباسط الرزق ، وقاسم المعيشة بين عباده بأحسن تقدير ، وأتقن تدبير ، فلم بعل (كذا) عليه صغير ، ولم يعزب عنه حقير ، حتى عم الجميع بلطفه ، ووسعهم بفضله ، وأغناهم بحصاة من ارضه ، أخرجها لهم من بين حجر ومدر ، لا ينهشها الكلب ، ولا يبتلعها الظليم ، ولا تؤذي شمًّا ولا مذاقاً فجعل بها نظام دينهم ودنياهم ، ومتزودهم الى معادهم وأخراهم ، فأحلّ بها الفروج ، وملك بها الرقاب ، ورأب بها الصدوع ، وسدّ بها الثغور ، وأرقا بها الدماء (كذا والصواب : ورقأ) وفكّ بها الأسرى ، وسيّر بها الحاج ، وقضى بها الفروض ، فقال لنبيه محمد ﷺ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم . وقال تعالى فأنذرتكم ناراً تلظى ـ الى آخر السورة ـ . وقرَنَ المال بالولد قال عز وجل : المال والبنون زينةُ الحيوة الدنيا . فالولد ثمرة القلب ، والمال حشاشته ، والعلم حياته . وأنزل في الوليد بن المغيرة : ذرني ومن خلقت وحيدا ، وجعلت له مالاً ممدودا ، وبنين شهودا . قال مجاهد : كان ماله الف دينار . وقال الله عز وجل : وتأكلون التراث أكلاً لمًّا ، وتحبون المال حبًّا جما . وقال تعالى : ان الانسان لربه لكنود ، وانه على ذلك لشهيد ، وانه لحبّ الخير لشديد ـ أي بما في يده ، شحيح عليه . وسمعنا فصحاء (٢ ب) مساكين العرب يقولون في سؤالهم : انا نحب الخير ، ـ أي إنا نطلب العطية والطعمة ـ . وقال النبي ﷺ : الحسب والمال ، والكرم والتقوى .

وقيل الورع من تورع من الصفراء والبيضاء ، وكان عليٌّ – صلوات الله عليه – اذا دخل بيت المال ، فنظر الى الصفراء والبيضاء قال : ابيضّي واصفرّي وغُرّي غيري . قال الهمداني : المال ثلاثة اموال ، متباينة الأشكال ؛ أرضٌ ، وحيوانٌ ، ونقد . يقول العرب بينهم : مال حـط (كذا) أي أرض – ولفلان مال لا يُرى طرفُه – أي ماشية ونعم كثير – ومال فلان معدن . ويقال : أتيته مسروح الأموال ، وسروح المال ، ومراح الأموال – اي الحيوان – قال الفرزدق :

وعضُّ زمان – يا ابن مروان – لم يدع من المال الا مسحتا أو مجلّف

– أي في الابل – وقد أكثر الناس القول في هذا البيت ، فقال قوم : لم يدع من المال ، ولم يترك الا مسحتا ، يعني والذي هو مجلّف[1] . فقد بوبنا عن الأرض « كتاب الحرث والحيلة » وعن الحيوان « كتاب الابل » ولم نحب أن نخل بأعظمها خطراً وأعتقها جوهراً ، وأكرمها عنصرا) .

ثم استرسل المؤلف في مقدمة طويلة تقع في ١٥ صفحة ، أورد فيها كثيراً من الآيات المتعلقة بالذهب والفضة ، وكثيراً من الأشعار .

آخر الكتاب (٨١ ب) (باب الدنانير المكحلة والمرتكيّة ، وما ينفع فيه الزئبق . أما المكحلة والمرتكية فإنها لا تكون الا في الدنانير المثاقيل القصار النحاف ، وهي تحفر بدسر ندح (كذا) مدور في جانبين من حاشية الدينار ، وفي الوجه الثاني في جانبين مخالفين لذلك لئلا تلتقي الحفر فينقص ، ثم كبست هذه الحفور مرتكاً أو كحلا ، واكثر ما يعمل الكحل ملصقاً بأصول الحروف وبينها ، فاذا سبكت الدنانير ولم يخرج هذان الخلطان منها أتت سبائكها يابسة ، لأجل هذين الجنسين اليابسين ، اللذين هما من الفضة .

(١) كذا وفي الكلام نقص .

وأما المكحلة فتضرب على السندان بالماء حتى يذهب الكحل ، ثم نضحت حتى تنقى من أثره . وأما المرتكية فتضرب حروف الدينار بصنجة على صنجة ، او على السندان بالمطرقة فيخرج ذلك الحشو . وأما اذا أصاب الدنانير الزئبق فإنه يحر على جمرة ، ثم بطح ولون ، واذا اعترك الدينار مع الدراهم فبيضته بطح ولون على النار .

تم كتاب الجوهرتين العتيقتين سنة ٨٩٨

بحمد الله تعالى وبركات من أمر بنقله ، وصلواته على محمد وآله ، وسلامه) .

أبواب الكتاب [1] :

(١) الأرقام للوحات الكتاب ، وحرف « ب » للصفحة الثانية من اللوحة .

٧٢ — باب فرق ما بين ذهب الصناعة وذهب الدنيا .

٧٣ — « فرق ما بين الذهب الجيد والرديء في الحك والضرب والغمز .

٧٣ ب — « تشبيه الدينار والدرهم بالكوكب في النقاء .

٧٤ — « علة تدوير الدينار والدرهم (فيه رسم واحد) .

٧٤ ب — « كتاب الدينار والدرهم (فيه رسم واحد) .

٧٥ ب — « معرفة وجه الدينار وقفاه وأقطاره ـ باب علل ضرب الدينار والدرهم .

٧٧ ب — « الطبع وعلله ، والسكة وعللها .

٧٩ ب — « من الطبع ـ باب سهولة النقش وصعوبته .

٨٠ — « علة بمايس السكة (كذا) واستقامة رونقه ـ باب أخذ مركز السكة على الصحة (فيه رسمان) .

٨٠ ب — « معرفة خير جلاء الحديد ـ باب السقي .

٨١ — « حجر الحك ـ باب الجون .

٨١ ب — « باب الدنانير المكحلة والمرتكية .

هذه هي أبواب الكتاب ، ولعلّ من المفيد إيراد شيء منها ، (باب معادن جزيرة العرب : قال ابو محمد : يقول أصحاب أخبار مكة : إن بالعير والعيْرة ـ وهما جبلان بعلاة مكة ـ معدنا . فأما المعادن المعلومة فمعدن « عَشَم » من أرض كنانة ، وأحسبه ينسب الى عشم من قضاعة لأنه يقال معدن عشم ، وذهبه احمر جيد ، يأتي رطله بعيار العلوي مائة دينار مطوّقة ، وأربعة دنانير ، وهو جيد غزير . ومعدن « ضنكان » من أرض كنانة والأزد [٢٤] بينهما ، وقد عثر منه في عصرنا على شيء خَدّهُ عليه السيل ، فغنم منه السلطان والرعية ، وهو دون معدن عشم في جودة الذهب ، ويأتي رطله بعيار العلوي مائة دينار وديناراً ونصفاً . ومعدن « القُفَاعة » من أرض الجزيرة من خولان ، وهو بالقرب من الخصوف مدينة حَكَم ، وقد يدعى معدن النار ، والنار في أعلى وادي

خُلَّب ـ وادي الخصوف ـ وهو خير المعادن جميعاً ، وأقله وضوحه (كذا) وأشدّها حمرة ، ورطله يأتي بالعيار العلوي ، مائة وستة . ومثله وقريب منه معدن « المخلفة » من أرض حجور وأرض همدان ، وبأرض بني سابقة بالحدّ ما بين صعدة ونجران ، وهو معدن جيد ، يأتي رطله بالعيار العلوي مائة وأربعة ، وأول اسما (كذا وفي الهامش : ـ ظ ـ وأقل شيئا) فهذه ما عمل من معادن الذهب بتهامة واليمن وشُهير ، وبها معادن أخر ، ولم تُعْمَل ، منها معدن « نعمان » بحجور ونعمان (كذا في الموضعين) جبل ، والمعدن في مسقطه ، وهو مجانس لمعدن ضنكان .

وأما معادن نجد الذهبية فأولها معدن « الهُجَيْرة » من نهد ، وأصح ما يأتي رطله بالعيار العلوي ثمانية وتسعين ، وأقل . ولا شكّ أن معدن « بيْشَة بُمْطَان » مثله في وضوحه التبر للحوار « كذا » ولم يعمل معدن بيشة في عصرنا وله مدة منذ انقطع عمله . ومنها معدن « العقيق » عقيق جَرْمٍ ، بين نجران والفَلَج ، وموضعه صعاد من العقيق (٢٤ ب) وهو غزير جداً ، ويسمون القطعة هناك دقة ولو كان فيها أرطال . ومنها معدن « الحَسَن » والحسن قَرْنٌ أسود مليح ، وهو غزير ، ويعدُّ من معادن اليامة ، ومنها معدن « الحفير » بناحية عماية وهو غزير . ومنها معدن « الصنبيب » عن يسار هضب القليب . ومنها معدن « الثنيّة » ثنية ابن عصام الباهلي . ومنها معدن « العوسجة » من أرض غنيّ ، فويق المُغَيْراء ، من بطن السّرداح ـ والمغيراء الماء الذي يقال انه رمي عليه شاس بن زهير ثعلبة بن الأعرج الغنوي ـ ويقابل المغيراء قرن يقال له الوتدة في بطن الوادي . ومنها معدن « تِيَاس » وهو محف بتياس ـ وتياس رمل في ديار بكر بن وائل دفن فيه العلاء بن الحضرمي صاحب رسول الله ﷺ . ومنها معدن « محجّة العراق » بين العمق والفيعية ، ولا أدري

أهو معدن النقرة في طريق العراق أم هو غيره ، أم معدن اسم لا يكون فيه معدن . ومنها «معدن بني سُليم» و «معدن بني فران» من أرض بليّ .

ثم في ديار العرب من جزيرة العرب معادن كثيرة لم تُعمل ، وأهلها بادية لا يعرفونها ، ولم يدخلها من المعدنين أحد .

معادن الذهب في بلاد الأعاجم : أما أغزر معادن الأرض الذهبية فمعدن «غانة» بأرض المغرب ، مغرب مصر ، وتحول دونه المفاوز ، والمخافة من سودان (٢٥) المغرب ، فاذا وصل واصلٌ أوقر ركابه ، وذلك ان عروق الذهب ، وأعناقه ، وطرائده ، ونعاله ، وألسنته ، بها كثيرة ، فيقرض ويحمل . خبرني بذلك ابراهيم بن محمد بن عبد الرحمن ، صاحب دار الضرب بصنعاء وصعدة ، على ما تناهى اليه وخبّر به . ومن معادن أرض النوبة والحبشة «العلافي» ـ نسبة الى بني العلاف من سليم بن منصور ـ وهو جيّد التبر ، ومُوات ، وعلقمة ، والعلقميّ من خير التبر وأشدّه حمرة . وممدوله وسكانه (كذا) من بلد الحبش . وبرى (كذا) وهو معدن اسارب (كذا) من الحبشة . و «قفط» و «الأقصر» و «اروب» (كذا) و «اسوان» من من بلد البجة . ومن مضان التبر «دهلك» و «عيذاب» و «باصع» و «سواكن» و «الصين» من بلدان الذهب قال تبّع :

وبيتٌ بالصين لي بغيــةً ثياب الحرير ، وكنز الذهبْ

تسمية معادن الفضة : ومنها معدن «شمام» الفضة والصفر (كذا) من أرض نجد ، وشمام قرية عظيمة ، كان فيها ـ فيما يقال ـ الف من المجوس ، وكان فيها بيعتان ، وابنا شمام جبلان بها ، وقد خربت وكان عمرانها في الجاهلية وأكثر مدة الاسلام . ومنها معدن «الرضراض» باليمن ، وهو نظير معدن شمام وخير منه ، وأكثر معادن الفضة بخراسان ، أو ما لا يعلم مكانه في جزيرة

العرب . فمن معادن خراسان « اندرات » معدن بلخ ، وهو أغزر (٢٥ ب) معادن خراسان ، ويرتفع فيه كل يوم من الفضة شيء كثير ، واذا اغتدى الناس في لقط الجواهر راحوا بما رزقوا ، فيقسم ثلاثة أثلاث ؛ فيأخذ وكيل السلطان ثلثاً ، ويأخذ اللاقطةُ ثلثاً ، وقبض أهل الموضع ثلثاً ؛ فمنهم من يعمل حقه ، ومنهم من يبيعه من تجار يعملونه . ومنها معدن « طوس » وفية مع الفضة ـ الحديد الذي تعمل منه السرود . ومنها معدن « سمرقند » . ومنها معدن « بخار » (كذا) موضع آل اسماعيل بن احمد . ومنها معدن بنيسابور . هذه المشهورة المذكورة ، ولم يشتهر ما سوى ذلك . قال معدنو الفضة : ليس بخراسان ولا بغيرها كمعدن اليمن ـ وهو معدن الرضراض ـ وهو في حدّ « نِهْم » ومخلاف « يام » من أرض همدان ، وخرب على رأس سبعين ومائتين ، وللمُرادِ فيه خاصة ، ولبني غيلان رهط ابن الرُّوَيّة يد ، حتى يقال : معدن ابن الروية . ولبني الحارث ، والخولان العالية فيه جوار وصقب . فلما قتل محمد بن يعفر ، وافتتنت هذه القبائل عليه ، عدا بعضهم على ساكنه فقتلوا منهم ونهبوا ، وهرب من بقي فتفرقوا في البلاد ، وصار الى صنعاء منهم قوم قد كان لهم بصنعاء قدم من قديم ، ومنازل وضياع ، وكان أهله جميعاً من الفرس ، ممن تأوّب اليه في الجاهلية ، وأيام بني أميــة وبني العباس ، وكانوا يسمون فُرس المعدن ، فممن بصنعاء بنو مردويه ، وبنو مهدويه ، وبنو زنجويه ، وبنو بردويه ، وبنو حدويه ، وكانت قرية المعدن عظيمة ، وبها غيل ونخل . وكان الجهاز يرد اليها من البصرة ، والقطرات اليها ومنها ، على طريق العقيق والفَلَج واليمامة والبحرين الى البصرة ، وكذا كانت الرفاق تسلك من صنعاء الى البصرة ومن البصرة الى صنعاء طريق اليمامة ، وقد سلكها أصحابنا ـ رحمهم الله ـ وكان أكثر من سلكها جرم وبنو الحارث . وكان يرتفع لمن في المعدن من

تنانيرهم ـ على أنهم لم يكونوا كالة ولا سداد (كذا) ـ شيء كثير من الفضة ـ في نسخة أخرى يرتفع لهم في الجمعة حمل فضة وهو عشرون الف درهم ، فيؤدى في السنة بالتقريب الف الف درهم ، عرف ذلك من بعض وكلاء محمد ابن يعفر ، الذين كانوا يقبضون حق السلطان . وخبرني أحمد ابن أبي رمادة الصائغ ان بني المما (كذا) وبني الأشرف كانوا يعالجون في المعدن ، وأنه كان فيه اربعمائة تنّور ، وكان الطائر اذا حاذى قرية المعدن سقط ميتاً من نار التنانير ، وخبرني أبي ـ رحمه الله تعالى ـ انه يشتري الفضة النماب (كذا هنا وفي ص ١١٤) وهي الحرق على أربعة عشر مثقالاً بدينار مطوّق ؛ المطوّق ثلثا مثقال ، وحبّتان ، والعشرة مطوقة وقيّة ، وهي سبعة مثاقيل ، فكان يقع المطوق من الفضة عشرين درهماً ففلة ، وبالمثقال قُراب ثلاثين درهماً ، فلما انقطع المعدن صارت الفضة بصنعاء الى وقيّة بدينار مطوق ، فلما وقعت باليمن حطمةُ تسعين ومائتين عادت (٢٥ ب) إلى السعر الأول ، عشرين درهماً ففلة ، وهي وقيتان بدينار مطوق ، وبلغ صروف الدوانيق تسعة وتسعين بمطوق ، فذلك ستة عشر درهماً وسدس ، فحمل التجار من العراقيين والفرس والشاميين والمصريين فضض اليمن في ذلك العصر ، وكانوا يربحون فيهما الربح الخطير . وخبرني بعض اخواننا النهميين من أهل الموضع ، قال : وصل الينا من صنعاء ممن يتوصل باليمن خراسانيان ، فلما نظر الى المعدن والى ما فيه من الآثار الجاهلي (كذا) والاسلامي قال أحدهما : يا ضياع مال الله في هذا المكان ! ـ أو قال : ـ يامال الله الضائع في هذا المكان ! وقد كان أجري للعلوي بصعدة خبره ، وكانت همدان ساكن هذه الموضع في حربه ، وكان الذي بينه وبين بني الرويّة لطيفاً ، فهمّ به ، فأشار عليه أهل صنعاء أن يبني فيه حصناً ، أو يَرُدّ الحصن القديم ، ويصير فيه ديواناً يمنعون عماله من

البادية ، وعوادي مذحج ، فهمّ بذلك ، ونمي الخبر الى اسعد بن يعفر فبعث لآل مروح – سادة نهم – فأثبتهم في ديوانه ، وأراع عليهم دنياه ، فانقطعوا اليه ، ولم يستو للعلوي فيه ما أمّـل . وآثار أعمال الجاهلي (كذا) فيه أكثر من آثار أهل الاسلام ، وهذا الموضع الذي ذكره النبي ﷺ في كتابه مع ابن نمط الهمداني ، الى أهل مخلاف يام وخارف ، فهنالك جبل يام الأصحر ، وفيه آثار الجاهلي ، ثم انتقلت يام من هذا الموضع (٢٧) فسكنت ما بين جوف الحيقة ونجران ، فصار لهم قابل نجران القبلي ، فيه حاضرتهم ، وباديتهم بملاح وحازة فما يليها من حلاحل فسروم ، وخبرني بعض من نظره من الغرباء الذين يعالجون الفضة انه ينفق على الدرهم منه ربع ، وان في أرض بني مجيد معدن فضة عمل لابن زياد صاحب زبيد فأنفق على الدراهم أربعة دوانيق لضعفه وعسره) اه .

(الرياض) حمد الجاسر

مقتطفات من كتاب

الأشباه والنظائر للخالديّين

— ١ —

لقد بحثنا في مقالين سبقا عن « الخالديّين »[١] ثم عن مؤلّفهما « كتاب الأشباه والنظائر »[٢]، وها نحن نورد فيما يلي مقتطفات من الكتاب ليتبين القراء مدى أهميته في دراسة الشعر العربي ونقده ريثما تذلّل بعض الصعوبات الناشئة عن أزمة الورق الحالية في طبعه .

— ١ —

قال الخالديان بعد المقدمة مفتتحَين الكتاب بالكلام على معنى قتال الأقارب والانتقام منهم :

قال المهلهل بن ربيعة[٣] :

١ بِكُرهِ قلوبنا يا آلَ بكرٍ نُغاديكم بمرهَفة النِّصالِ
٢ لها لَونٌ من الهامات جَونٌ وان كانت تُغادى بالصقالِ
٣ ونبكي ، حين نذكركم ، عليكم ونقتُلكم كأنّا لا نُبالي

أبيات المهلهل هذه هي الأصل في هذا المعنى ومثله قول الحُصَين بن الحُمام المرّي[٤] :

---

(١) راجع الجزء الأول من المجلد الخامس والعشرين من هذه المجلة .
(٢) راجع الجزء الثاني من المجلد ٢٦ من هذه المجلة .
(٣) من أربعة أبيات في الحماسة (ط بُن) ٩٣ - ٩٤ لرجل من بني عقيل حاربه بنو عمه فقتل منهم والرواية هناك « بكره سراتنا يا آلَ عمرو » كذلك أيضاً في العيون لابن قتيبة حيث يوجد البيتان الأول والأخير .
(٤) المفضلية ٦/١٢ والرواية هناك « يفلقن » يعني الأسياف كما في الحماسة ٩٣ والآمدي ٩١ ، وفي الشعراء ٤١٠ « نفلق » كما هنا . قال الشاعر الشعر لما أكثر -

نُفلِّق هاماً من رجالٍ أعِزَّةٍ ... علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلَما

وأخذه بعضهم فقال [1] :

١ قومي هم قتلوا ، أُمَيم ، أخي ... فاذا رميت أصابني سهمي

٢ فلئن عفَوتُ لأعفُوَنْ جَلَلاً ... ولئن قتلت [2] لأوهِنَنْ عَظْمي

وأخذه مالك بن مطفوق السعديّ فقال :

١ قتلنا بني الأعمام يومَ أُوارَةَ ... وعزَّ علينا أن نكون كذلكا

٢ هم أحرجونا يوم ذاك وجرَّدوا ... علينا سيوفاً لم يكنَّ بواتِكا

وأخذه حرب بن مِسْعَر فقال [3] :

١ ولما دعاني لم أُجِبه لأنني ... خشيتُ عليه وقعةً من مُصمِّمِ

٢ فلما أعاد الصوتَ لم أكُ عاجزاً ... ولا وَكِلاً في كلِّ دَهْياءَ صَيْلَمِ

ــ القتل في بني صرمة بن مرة وحلفائهم يوم دارة موضوع وكان قد ناشدهم الرحم بينهم وبين رهطــه بني سهم بن مرة فابوا ، انظر غ (= الأغاني) ١٢/١٢٥ و خ (= الخزانة) ٣/٣٥٤ . ويروى ان يزيد بن معاوية تمثل بهذا البيت لما وضع رأس الحسين بين يديه ، انظر العقد (ط ١٩٢٨ م) ٣/١٣٧ ومقاتل الطالبيين (تحقيق السيد أحمد صقر) ١١٩ وابن الأثير (الكامل ، ط ليدن) ٤/٧٣ .

(١) من قصيدة مختارة للحارث بن وعلة الذهلي — وقد خلطه القالي ١/٢٦٢ بالحارث بن وعلة الجرمي ـ قالها في قتل بن شيبان أخاه المنذر بن وعلة ، انظر اللآلي ٥٨٥ والآمدي ١٩٧ والحماسة ٩٧ والبيتان بدون عزو في غ ١٠/١١٨ والعيون ٣/٨٨ ، وجاء في جمهرة عمر بن شبة — رقم ١١٩٤ ادب بدار الكتب المصرية — ص ٧٨ ان المهلهل اوقع ببني الطماح وبني يقدم حتى أفنى بني يقدم وساق بني الطماح بين يديه ثم عرض عليه ان يعفو فلم يعفُ وقتلهم فلما نظر اليهم قتلى استعبر بالبكاء وقال :

ولئن عفوت لاعفون جللا ... ولئن أسأت لموهن عظمي

قومي هم قتلوا كليب أخي ... فاذا رميت يصيبني سهمي

(٢) بهامش ب « ن : رَمَيت » .

(٣) البيتان ٣ و ٤ له في نهج البلاغة (مصر ، ١٣٢٩ هـ) ١/٣٠١ والاولان للقتال الكلابي ـــ مع البيتين الآتيين [« مقوّم » و « مندم »] وزيادة خامس — في البصرية (الدار ٥٢٠ أدب) ١٥ .

٣ عَطفتْ عليه المُهرَ عطفةَ مُحرِجٍ صؤول ومن لا يغشِم الناسَ يُغشَمِ [1]
٤ وأوجَرتُه لدنَ الكعوب مقوَّماً نخرَّ صريعاً لليدَين وللفَمِ
٥ وغادرتُه والدمعُ يجري لقتلهِ وأوداجُه تجري على النحر بالدَّمِ

فأخذ هذا المعنى ديك الجنّ فقال في جارية كان يحبها فقتلها [2] :

١ قمرٌ أنا استخرجتُه من دُجْنةٍ لبليَّتي وجلوتُه من خِدرِه
٢ فقتلتُــه وله عليَّ كرامةٌ ملء الحشا وله الفؤادُ بأسْرِه
٣ عهدي به مَيتاً كأحسنِ نائمٍ والحُزنُ ينحر عَبرتي في نَحرِه

والى المعنى الأول نظر أبو تمام في قوله [3] :

١ قدِ انْثنَى بالمنايا في أسنّته وقد أقام حياراكم على اللَّقَمِ
٢ جذلانُ من ظفرٍ حرّانُ ان رجعت أظفارُه منكم مخضوبةً بدَمِ

ومن هذا المعنى أخذ البحتري قوله [4] :

(١) في ب « من لا يعرِم الناس يُعرم » وثبت بالهامش « عمم الناس اقتحم فيهم وتوسطهم من الجد في حرب أو غيرها ، وذلك مثل قول زهير : ومن لا يظلم الناسَ يُظلم » اللسان : عمم أي رمى نفسه وسط الحرب ، زاد الجوهري : رمى نفسه وسط القوم في حرب كان أو غير حرب .

(٢) من ستة أبيات في غ ١٢/١٤٥ وخبرها أن ديك الجن اشتهر بجارية نصرانية من أهل حمص فتزوجها بعــد ان أسلمت وكان اسمها وردا ثم رحل الى سلمية قاصدا لأحمد بن علي الهاشمي فاذاع ابن عم له على تلك المرأة انها تهوى غلاماً له وشاع ذلك الخبر حتى بلغ ديك الجن فعاد الى حمص وقتلها ثم بلغه الخبر على حقيقته واستيقنه فندم ، وله اشعار اخرى في ندمه على قتلها .

(٣) الديوان ٢٤٠ . اللقم : وسط الطريق .

(٤) من قصيدة يذكر فيها صلح بني تغلب وقبله :

تقتّل من وتر اعزّ نفوسها عليها بأيد ما تكاد تطيعها

الديوان (هندية ، ١٩١١ م) ٢/٣١٧ والزاغب (الشرفية ، ١٣٢٦ هـ) ٢/٧٥ وانظر المثل السائر ٤٨٢ حيث جاء ان البحتري أخذ المعنى من أبي تمام وكساه عبارة أحسن من العبارة الأولى .

اذا احترّبتْ[1] يوماً ففاضت دماؤها[2] تذكّرتِ القربى ففاضت دموعُها

بيت البحتري أطرف وأبدع من بيت المهلهل الا أنه أرشده الى المعنى ودلّ عليه .
ومثله للقتّال الكلابي[3] :

١ فلما رأيتُ انه غير مُنتَهٍ أملْتُ له كفّي بلَدنٍ مقوَّمِ
٢ فلما رأيتُ أنني قد قتلتُه ندمتُ عليه أي ساعة مندمِ

— ٢ —

[ص ٦ معنى عَرف الحبيب بالديار]

وأنشد لبعض الأعراب[4] :

١ أرى كلّ أرض دمّنتها، وان مضت لها حِجَجٌ ، يزداد طيباً ترابُها
٢ ألم تعلَمَنْ ، يارب ، ان ربّ دعوة دعوتك فيها مُخلصاً لو أجابُها
٣ لعمرُ أبي ليلى لئن هي أصبحت بوادي القرى ماضرّ غيري اغترابُها

مثله للبحتري[5] :

لعمرُ الرسوم الدارسات لقد غدت بريّا سُعاد وهي طيبة العَرفِ

(١) ا « احتزنت » .
(٢) ا « دماؤنا » .
(٣) من ثلاثة ابيات في الحماسة ٩٥ و غ ٢٠/١٥٩ وخبرها ان القتّال كان يتحدث الى ابنة عم له يقال لها العالية بنت عبد الله فحلف اخوها لئن رآه ثانية ليقتلنه فلما كان بعد ذلك بايام رآه عندها فأخذ السيف وخرج القتال هاربا فبينا هو يسعى وقد كاد أخو العالية يلحقه وجد رمحا مركوزا أو ضيفاً فأخذه وعطف عليه فقتله . والبيتان للقتال في البصرية ١٥ مع ثلاثة أبيات أخرى مضى الاثنان منها ضمن الكلمة لحرب بن مسمر . والأول مع بيت آخر في ت (التنبيهات) القالي ٢٦ .
(٤) من أربعة أبيات في الحماسة ٥ — ٥٨٤ . دمنتها أي أثرت فيها باقامة فعل مبني من الدمنة ، كذا في أصل العسكري (= ديوان المعاني) ١/١٦١ وبدله في المرتضى ٢/١٤٨ « أوطنتها » وفي النويري ٢/٦٦ « دُمت فيها » .
(٥) الديوان ٢/١١٢ .

مثله للنميري (١) :

تضوّع مسكاً بطن نعمان ان مشت به زينبٌ في نسوة عطراتِ

قوله « يزداد طيباً ترابُها » مثل قول جميل (٢) :

١ ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً بأبطحَ فيّاحٍ بأسفله نخلُ

٢ يفوح علينا المسكُ منه وانما به المسك ان جرّت به ذيلها جُمْلُ

وابعضهم (٣) :

واستودعتْ نشرها الديارَ فما تزداد الاّ طيباً على القِدَمِ

ومن هنا أخذ العباس بن الأحنف قوله (٤) :

١ جرى السيلُ فاستبكاني السيلُ اذ جرى وفاضت له من مقلتيّ غروبُ

٢ وما ذاك الاّ حين خبّرتُ أنهُ يمرّ بوادٍ أنت منه قريبُ

٣ يكون أجاجاً دونكم فاذا انتهى اليكم تلقّى طيبكم فيطيبُ

أخذه ابن المعتز فقال (٥) :

فلما انتهى قولُ السلام وردُّه لفظن حديثاً عطّرتهُ الملافظُ

أبو العباس الأعمى (٦) :

ليت شعري أفاح رائحة المسك وما ان اخالُ بالخيف انسيْ

(١) هو محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي وكان يشبّب بزينب بنت يوسف اخت الحجاج ، انظر غ ١٩٢/٦ والكامل (ط ليبسك) ٢٨٩ و ٣٦٧ والحصري ١٠٧/١ والعسكري ٢٦٠/١ والنويري ٦٦/٢ .

(٢) البيت الثاني مع آخر له في العسكري ٢٦٠/١ والنويري ٦٦/٢ .

(٣) شرح الحماسة ٥٦٧ و غ (= الخزانة) ١٣٦/٤ والراغب ١٣٩/٢ .

(٤) هي أربعة أبيات له في الديوان ١٨ و غ ٧٧/١٧ وكثيراً ما خاطت بأبيات اخرى للمجنون (غ ٦٣/٢) وابن الدمينة (العقد ١٤٤/٤) .

(٥) لم يثبت البيت في الديوان .

(٦) من أبيات مدح بها مروان بن محمد ، انظر غ ٥٧/١٥ والحصري ١١١/٢ والبيان والتبيين (تحقيق عبد السلام هارون) ٢٣٣/١ .

أنشد ابن الأعرابي [1] :

١ على الميت [2] من بطن الجزيرة كلما مررنا به أو لم نَمُرَّ ـ سلامي
٢ وما ذاك الا ان زينبَ جرَّرت به الذيل لم تنزل لدار مُقامِ
٣ كأنَّ تِجاراً تحمِل الطيب عرَّسوا به ثم فضّوا فيه كلَّ خِتامِ

وهذا كثير في أشعارهم قديماً ومحدثاً ، وأحسنُ ما قيل في هذا المعنى قول الشاعر [3] :

١ وأنتِ التي حبَّبتِ شغبا الى بَدى [4] اليَّ وأوطاني بلادٌ سواهما
٢ حللتِ بهذا حلّةً بعد حلّةٍ بهذا فطاب الواديان كلاهما

ومثله لأبي نواس [5] :

لمن دمن تزداد حُسنَ رسومِ على طول ما أقوتْ وطيبَ نسيمِ

— ٣ —

[ص ١١ : من شعر عمرو بن الاطنابة]

عمرو بن الاطنابة [6] :

١ أبت لي عفّتي وأبى بلائي وأخذي الحمدَ بالثمن الربيحِ

---

(١) لفروة بن حيضة الأسدي كان أحدث حدثا فطلبه السلطان فهرب وقال الأبيات بزيادة رابع ، كذا في الآمدي ١٠٥ والرواية هناك « بطن الحرية » بدل « بطن الجزيرة » و « زهرة » بدل « زينب » .
(٢) كذا ولعلها (الميث) بالثاء المثلثة .
(٣) من ثلاثة أبيات لكثير في الحماسة ٥٦٧ (أيضاً خ ١٣٦/٤) وهي أربعة له في د ٨٤/١ - ٨٥ والبلدان (شغبى) وهما في العسكري ٢٦٠/١ والحصري ٥٤/٤ لجميل .
(٤) في الأصول « شعبا » وفي ادب « ندى » مصحفا .
(٥) د ٨٨ .
(٦) الأبيات في العسكري ١١٤/١ ورواية ابن دريد عن الرياشي هناك أوفق الروايات للنص الوارد هنا وانظر اللآلي ٥٧٤ واللباب ٤ - ٢٢٣ والعقد ٥٤/١ وحم البحتري ١٩ والكامل ٧٥٣ والعيون ١٢٦/١ والنويري ٣/٧ - ٢٢٦ .

٢ واعطائي على المكروه مالي واقدامي على البطل المُشيح ِ

٣ وقولي، كلما جشأت وجاشت ، مكانك تُحمدي أو تستريحي

٥ لأدفعَ عن مآثر صالحاتٍ وأحمي بعدُ عن عِرضٍ صحيحِ

أما قوله يخاطب نفسه «وقولي كلما جشأت وجاشت» فعليه فيه متعلق لأنه ذكر نفسه بالجبن وانها تدعوه الى الفرار وانه يقهرها بصبره [1] ، وفي الشعر مثل هذا كثير على العيب الذي قدمنا ذكره . وله أيضاً [2] :

١ ذُلُلٌ ركابي حيث شئتُ مشايعي لُبّي [3] أروع قطا المكان الغافلِ

٢ أظُليمَ ما يُدريك كم من خُلّةٍ [4] حسنٌ مدامعُها [5] كظبية حابلِ

٣ قد بتّ [6] مالكها وشارب قهوة درياقةٍ أرويتُ منها واغلي

٤ صهباءَ صافيةٍ ترى ما دونها [7] قعر الاناء تُضيء وجهَ الناهلِ

٥ انّي من القوم الذين انتدَوا [8] بدءُوا بحق اللهِ ثم النائلِ

(١) يعدّ ابن الاطنابة « من الشجعان الثلاثة الذين تنبين دلائل الجبن في شعرهم » كذا في العسكري . وأثر عن معاوية أنه قال « والله لقد وضعت رجلي في الركاب يوم صفين مراراً ما يثنيني من الانهزام الا أبيات ابن الاطنابة » انظر مجالس ثعلب ٨٣ ونهج البلاغة ١/١٨٨ و ٢/٢٨٦ والعمدة ١٠ (أيضاً الكامل والعيون) .

(٢) من كلمة في ٢٠ بيتا في ابن الاثير ١/٣ - ٥٠٢ و ١٣ بيتا في حم ابن الشجري ٥٦ ومنها الابيات ٥ - ٨ في الحماسة ٧١٤ والأبيات ٥ - ٧ في المرزباني ٢٠٤ .

(٣) كذا في حم ابن الشجري وفي الاصول « انّى » وصححت في م .

(٤) ادب « حلة » وفي حم ابن الشجري « حرّة » وله وجه حسن .

(٥) روي في نظام الغريب للربعي (تصحيح بولس برونله ، مطبعة هندية) ص ١١ « حسن مراغمها » والمراغم والملاغم : ما حول الفم .

(٦) ادب « فديت » كذا في م أيضاً في الموضع الآتي وصححت هناك .

(٧) بهامش ب « ن : من دونها » .

(٨) في الاصول « ابتدوا » وقد صححت في ب و م وانتدوا أي جلسوا في النادي كذا في الحماسة والمرزباني .

٦ المانعين من الخنا جاراتِهم والحاشدين[1] على طعام النازلِ

٧ والخالطين فقيرَهم بغنيِّهم والباذلين عطاءَهم للسائلِ

٨ والضاربين الكبشَ يبرُق بيضُه ضربَ المهَجهَج عن حياض الناهلِ

قد أخَذَ في هذه الأبيات أشياء وأُخِذَ منه أشياء فما أخَذَ قوله « ذلل ركابي حيث شئت » البيت . وهذا البيت بأسره لعنترة[2] الا أنا قد وجدنا مثل هذا في أشعارهم أشياء كثيرة ، فمن ذلك قول امرئ القيس :

وقوفا بها صحبي عليّ مطيّهم يقولون : لا تهلِكْ أسىً وتجمّلِ

ولطرفة بن العبد مثله حرفاً بحرف الا انه جعل مكان « تجمّلِ » « تجلّدِ »[3] .

ومن تصفح أشعار العرب رأى من هذا عجائب وهم يسمونه التوارد وهو عندنا سرقة لا محالة . ومما أخذه أيضاً قوله « قد بتّ مالكها وشاربَ قهوة » البيت وهذا بأسره للبيد الا أنهما في عصر واحد فلا ندري أيُّهما أخذ من صاحبه . وأخذ أيضاً قوله « صهباء صافية ترى ما دونها قعر الاناء ... » وتمام البيت من قول الأعشى « تُريك القذَى من دونها وهي دونَه »[4] الا انه لم يأت بمثل كلام الأعشى ولا قاربه .

وأما ما أُخِذَ منه فقوله « والخالطين غنيّهم بفقيرهم » والبيت الآخِر أخَذَه منه حسان بن ثابت مصالتة فقال[5] :

---

(١) ا « الحاسدين » . وقارن قول قيس بن الحطيم « والحاشدون على قرى الاضياف » - د ق ١٥/٧ .

(٢) البيت في معلقة عنترة هكذا :

ذلل ركابي حيث شئت مشايعي لبي واحفزه بأمر مبرم

(٣) يرى ابن قتيبة - الشعراء ٥٣ - ان طرفة أخذ من امرىء القيس . وهو من الأخذ القبيح ، كذا في الصناعتين ١٧٣ والمثل السائر ٤٧٢ .

(٤) الشطر الثاني : اذا ذاقها من ذاقها يتمطق ، - د ق ٣٣/٢٣ والشعراء ١٤٢ . وللأعشى أيضاً :

تريك القذى وهي من دونه اذا ما تصفق جريالها

د ق ٢١/١٠ .

(٥) د ١٦٥ « الخالطون فقيرهم بغنيهم » الخ .

١ والخالطين غنيهم بفقيرهم والمنعمين على الفقير المُرملِ
٢ والضاربين الكبش يبرُق بيضُه ضرباً يطيحُ به بنانُ المَفصِلِ

وهذا أقبح ما يكون من الأخذ وليس هو من التوارد الذي يذكرونه لأنّ ابن الاطنابة من الأوس وحسان من الأنصار وهما من قبيلة واحدة وكان ابن الأطنابة أقدم من حسان فلذلك قلنا أخذَه منه أخذاً .

— ٤ —

[ص ١٥ : من شعر قيس بن الخطيم]

قيس بن الخطيم[1] :

١ تبدّت لنا كالشمس تحت غَمامةٍ بدا حاجبٌ منها وضَنّت بحاجبِ
٢ ولم أرَها إلاّ ثلاثاً على مِنىً وعَهدي بها عذراءُ ذاتَ ذوائبِ
٣ فتلك التي كادت ونحن على منى تحُلُّ بنا لولا نجاءُ الركائبِ

قال الحاتمي : أخذ هذا المعنى أخذاً خفيًّا من امرئ القيس في قوله « قيد الأوابد »[2] وهو[3] قوله « نجاء الركائب » .

٤ ومثلِكِ قد اصبيتُ ليست بكَنّةٍ ولا جارة ولا حليلة صاحبِ[4]

(١) الأبيات ، ما عدا البيت الأخير ، في د ق ٣/٤ و ٤ و ٢ و ٥ و ٨ و ١٠ و ٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٣ والقصيدة من المذهبات في الجمهرة ١٢٣ ومنتهى الطلب (نسخة الدار ٥٣ ش أدب) ٢/ ١٠٠ قالها في حرب حاطب وبعاث وقصتها ان حاطبا ، أحد بني عمرو بن عوف ، أجار رجلاً فكسع يهودي استه بأمر رجل من بني الحرث بن الخزرج فعمد حاطب الى الخزرجي فقتله فخرج بنو الحرث حتى قتلوا حاطبا ثم تهيأ الفريقان للقتال فالتقيا بالرّدم من بُطحان وهو واد بالمدينة وكان ذلك اليوم على الأوس . وراجع الأبيات ١ – ٦ في الجمحي ٥٦ والبيتين ٨ و ٩ في مجموعة المعاني ٣٦ وبعض الأبيات في حم البحتري ٥٦ و ٦٨ .

(٢) من المعلقة :

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجردٍ قيد الأوابد هيكل

(٣) ب و م « من » بدل « هو » .

(٤) لقيس أيضاً :

ومثلك قد اصبيت ليست بكنة ولا جارة أفضت اليّ خِباءها

٥ أُرِبْتُ بدفع الحرب حتى رأيتُها   على الدفع لا تزدادُ غيرَ تقاربِ

٦ ولما رأيتُ الحربَ حَرْباً تجرَّدتْ   لبِستُ مع البردَين ثوبَ المحاربِ

٧ وكنتُ امرءاً لا أبعث الحربَ ظالماً   فلمّا أبَوا أشعلتُها كلَّ جانبِ

٨ اذا ما فررنا كان أسْوَا فرارنا   صدودَ الخدود وازْوِرارَ المناكبِ

٩ صدودَ الخُدود والقنا متشاجرٌ   ولا تبرحُ الأقدامُ عند[1] التضاربِ

١٠ يُعَرِّيْن بِيضاً حين نلقى عدوَّنا   ويُغْمَدن حمراً ناحلات[2] المضاربِ

١١ فإن غِبت لم أغفَل وان كنت شاهداً   تجدني شديداً في الكريهة جانبي[3]

قوله « وان غبتُ لم اغفل » ضدّ قول جرير[4] :

ويُقضَى الأمر حين تغيب تيمٌ   ولا يُستأذَنون وهم شهودُ

أخذ بشار قوله « تبدت لنا كالشمس » البيت في قوله[5] :

١ قامتْ تصدّى اذ رأتني وحدي   كالشمس بين الزِّبْرِجِ المنْقَدِّ

٢ ضنَّت بخدٍّ وجلَت عن خدِّ   ثم انثنت كالنَّفَسِ المُرْتَدِّ

وما قصّر بشار في هذا المعنى بل جوّده وزاد[6] :

---

(١) ا « مثل » بدل « عند » .

(٢) ا « ماحلات » أي متغيرة اللون .

(٣) لا يوجد هذا البيت الأخير في المصادر السالفة الذكر ولكنه ينسجم مع ما جاء في آخر القصيدة في الديوان :

وغُيِّبْتُ عن يوم كنتني عشيرتي   ويوم بُعاث كان يوم التغالبِ

ولم يكن قيس حضر يوم بُعاث .

(٤) د ٦٧/١ .

(٥) المختار من بشار ٢٢١ ونص الشارح ٢٢٣ على انه مأخوذ من قول قيس كما في العقد ٣/٤٢١ . وذكر في العسكري ان قول قيس مأخوذ من قول النمر بن تولب :

فصدّت كأن الشمس تحت قناعها   بدا حاجب منها وضنت بحاجب

(٦) قال شارح المختار من بشار ٢٢٣ : لم يفسد الآخر (لبشار) قول الأول (قيس) ولم يكن الأول بالمعنى اولى من الآخر .

وقوله « فتلك التي كادت [1] ونحن على منى » البيت يريد انا نظرنا اليها ونحن سائرون فلولا انّ الابل ، لما شُغِلْنَا [2] بالنظر اليها ، سارت ونحن لا نعلم لكُنّا قد نزلنا [3] ، وفيه قول آخر وهو انا كنا محرمين فكدنا ، بنظرنا [4] اليها ، ان نحلّ فيفسد احرامنا [5] .

وشبيه بهذا قول الشاعر :

وتستوقف الركبَ العِجالَ بطَرفها فما أحد يمضي من القوم أو تمضي [6]

وقال آخر :

١ أغَرَّتْ [7] بموضعِ أخمصِيها طرفَها؟ تجثو الترابَ بنظرة المسترعَفِ

٢ أخذتْ بالحاظِ الركاب فلَمْلَمَتْ متقدّماً منهم على متخلفِ

وقوله « ومثلك قد أصبيت » البيت معنى جيد في الحفاظ وقد أخذه بعض المحدثين فقال [8] :

(١) ا و م « كانت » وصححه في م .

(٢) م « شغلتنا » .

(٣) قال حسان بن ثابت ، د ق ١٧/٥ :

ديار التي كادت ونحن على منى تحلّ بنا لولا نجاء الرواحل

وجاء في تفسير البيت : يقول لعرفانها كدنا ان نقيم فلا نبرح لولا نجاء ابلنا كما قال قيس بن الخطيم ... الخ .

(٤) ا و م « لنظر » بدل « بنظرنا » .

(٥) في د « قال الطوسي : أي تجعلنا حلالا ونحن حرام » .

(٦) م « يمضي » .

(٧) كذا مع بعض الشك ، الهمزة للاستفهام و « غرّت » أي الصقت ، يصفها بغض البصر وعدم التلفت الا" أنّي لا استبعد ان يكون البيت هكذا :

أثَرَتْ بموضع اخمصيها طرفَه تجثو التراب بطرْفِهِ المسترعَفِ

اثر خف البعير : سحى باطنه ليقتص اثره ، يصف المحب بمراقبة سيرها وإثآر النظر الى قدميها وهذا هو المعنى الذي نحن فيه .

(٨) من عدة أبيات للأحوص في غ ٤/٢٦٤ والقالي ١/٤٦ والحصري ١/١٥١ وهي من غير عزو في نهج البلاغة ٤/٥٢٤ .

١ قالت ـ وقلتُ : تحرَّجي وصِلي حبلَ امرئٍ بوصالكم صبٍّ
٢ واصِل اذنْ بَعلي ، فقلت لهـا : الغدْرُ شيءٌ ليس من شعبي [1]
٣ ثِنتان لا أصبو لوصلهما عِرسُ الخليل وجارة الجَنبِ
٤ أما الصديق فلستُ خائنَـه والجـارُ أوصاني به ربي

هذا جيد الا ان الأول أجود لأنه جمع ما احتاج اليه من الكنة والجارة وامرأة الصاحب في بيت واحد ، وهذا أتى بالجارة وامرأة الصاحب في أبيات ولم يذكر الكنة ، وهذا المعنى كثير في أشعارهم قديمًا ومحدثًا [2] .

وقوله « لما رأيت الحرب شبّ أوارها » البيت أراد بالبردَين الشجاعة والشباب ، ويجوز ان يكون أراد بهما ثوبَيْه . فأما قوله « ثوب المحارب » فهو الدرع لا محالة ، ثم قال في ذكر الفرار ما لم يقُله أحد جودة وحسن لفظ وصحة معنى . وقوله في ذكر السيوف « ناحلات المضارب » شبيه بقول النابغة [3] :

ولا عيبَ فيهم غير انَّ سيوفهم بهنّ فلول من قِراع الكتائبِ

قوله « اذا ما فررنا » والبيت الذي بعده مأخوذ من قول الأعشى في يوم ذي قار [4] :

مافي الخدود صدودٌ عن وجوههم ولا عن الطّعن في اللّبات منحرفُ [5]

وقال عبد الله بن رواحة في جواب قيس بن الخطيم عن شعره هذا الشعر [6] :

---

(١) كذا في نهج البلاغة وبعض نسخ الأغاني ، ويروى « تخرّبي » .
(٢) اخذ هذا المعنى شاعر آخر فقال :
ضربت لها الميعاد ليست بكنة ولا جارة يخشى عليّ ذمامها
كذا في نهج البلاغة ٥٢٦/٤ .
(٣) العقد الثمين ق ١٩/١ .
(٤) د ق ٧/١٦٤ .
(٥) م « ينحرف » .
(٦) د قيس بن الخطيم ص ٣٧ الأبيات ٧ ـ ١٠ .

١ اذا غُيِّـرَت [١] أحسابُ قومٍ وجدتنا — الى مَشْعَرٍ [٢] فيها كرامُ الضرائبِ

قوله «اذا غيّرت» البيت اي ان يشحّوا [٣] بعد الجود لما صاروا اليه من الشدة والجهد في سنة قد تقدم ذكرها في الشعر ٠

٢ نُدافع عن أحسابنا بتلادِنا — لمُفتقِرٍ أو سائل الحقّ واجبِ

٣ وأعمى هدَته للسبيل حلُومنا — وخصمٍ أقمنا بعد تلجيج شاغبِ [٤]

٤ ومعترَكٍ ضنكٍ ترى القومَ وسطه — مشينا له مشيَ الجمال المصاعبِ

أخذ قوله «مشينا له» من النابغة في قوله [٥] :

اذا نزلوا عنهن للضرب أرقلوا — الى الموت إرقالَ الجمال المصاعبِ

— ٥ —

وقال رفاعة بن خالد [٦] الواقفي من الأنصار [٧] :

---

(١) يروى «عُيِّرت» بالعين المهملة .

(٢) بهامش م «معشر صح» وبهامش ب «لعله معشر» ولا حاجة الى التصحيح فان المَشْعَر هو الشجر الملتف .

(٣) م «شحوا» ا «تسخوا» .

(٤) ا «تلحيج ساغب» ب «تلحيح شاغب» والرواية في الديوان «بعد ما لجّ شاغب» .

(٥) العقد الثمين ق ١٦/١ ، وهو من المعاني التي سبق اليها النابغة كذا في المنثور والمنظوم لابن طيفور (رقم ٥٨١ ادب بالدار) ص ١٠٠ ، ولقيس بن الخطيم — د ق ١٣/٤ — مثل قول النابغة تماماً :

رجال متى يُدعَوا الى الموت أرقلوا — اليه كارقال الجمال المصاعبِ

(٦) كذا ، الا اني أميل الى ان يكون «خالد» تصحيفا لـ «زنبر» و «رفاعة ابن زنبر» ذكره ابن الأثير في اسد الغابة ١٧٩/٢ [وقد فرّق أبو نعيم بينه وبين «رفاعة ابن عبد المنذر بن رفاعة بن زنبر» الذي لم يعقب — أسد الغابة ١٨١/٢ — كذا أورده ابن حجر مع ان ابن حجر كان يميل الى انهما واحد ، انظر الاصابة ٢٦٠٩ و ٢٧٥٧] .

ثم هل «رفاعة بن زنبر الواقفي من الأنصار» هذا هو والد «قيس بن رفاعة» الآتي ذكره ؟ لقد ذكر ابن حجر — الاصابة ٧١٦٣ — قيس بن رفاعة [ولا يهمنا —

١ لامهاذير في النَّدِيّ ولا ينـــفكُّ فيه لهم ندى وسماحُ
٢ منهم الذائدُ الكتيبةَ بالسَّيــــفِ كما يكشف السحابَ الرياحُ
٣ فيهم للمُلايِنينَ أناةٌ وطِماحٌ اذا يُراد الطِّماحُ
٤ ومداريكُ للذُّحولـــ ـــمبا ذيلُ اذا قلَّ في السِّنين اللِّقاحُ

— في هذا المقام الترجمة الأخرى ٧١٦٤ لقيس بن رفاعة الأنصاريّ فانهما رجلان اثنان يختلف نسبهما كما جزم بذلك صاحب الخزانة ٤٩/٢] عن المرزباني ٣٢٢ ونصّ على أنه واقفي انصاريّ [مجموعة المعاني ١٤٩ « قيس بن رفاعة الأنصاري » والبصرية ١٤ « قيس بن رفاعة الواقفي »] كما أن المرزباني ٢٣٤ ذكر أيضاً « عمرو بن رفاعة الواقفي الأوسي » — هكذا في ابن الجراح — وربما قيل عن هذا الشاعر له « ابو قيس بن رفاعة » كذا سماه الجمحي ٧٢ وهو في حم البحتري ٢٤ « ابو قيس ابن رفاعة الأنصاري » وقال البكري في اللآلي ٥٦ « هكذا رواه ابو علي قيس ابن رفاعة في أماليه (ص ١١) ورويته في اصلاح المنطق عن يعقوب : « أبو قيس بن رفاعة ، وهو الصحيح واسمه دِثار » الا انه البكري قال أيضاً في التنبيه ٢٢ « انما هو أبو قيس بن أبي رفاعة ، واسمه دِثار » وهذا الاسم « دِثار » هو في العيني ١٦٧/١ عن اللآلي « دِينار » ولا يخفى ان « دينار هو تصحيف شائع قديم لِـ « زنبر » وقد نبه على هـذا بالتفصيل ابن الأثير ١٨٢/٢ (انظر أيضاً الاصابة ٢٧٥٧) وأرى أن « دثار » ليس إلا تصحيفاً آخر لنفس الكلمة . واذا تأكدنا من كلمة « زنبر » فالأرجح ان نفسر كلام البكري بأن « زنبر » هو اسم « ابي رفاعة » فيكون النسب هكذا : قيس بن أبي قيس رفاعة بن أبي رفاعة زنبر ، — ومن هذا يتضح مدى سوء الفهم الذي نشأ من اسقاط كلمة « أبي » قبل « رفاعة » [ومن حسن الحظ انها بقيت في التنبيه] ثم من تصحيف « زنبر » الى « دثار » و « دينار » وتبادر الذهن الى انه اسم لأبي قيس (بدل « أبي رفاعة ») . وبناء على ما ذهبنا اليه يكون الشك من الرواة فيما اذا كان القائل قيساً أو أباه لا في اسم القائل هل هو قيس أو أبو قيس .

على كل فمما لا شك فيه ان رفاعة هذا وقيس بن رفاعة الآتي ذكره كلاهما من بني واقف واسمه مالك [« سالم بن مالك بن الأوس » في التاج (وقف) عن الصحاح والسمعاني (الواقفي) والمعارف لابن قتيبة ٥٥] بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس . وكثيراً ما خلط الناس بين « ابي قيس بن رفاعة » و « ابي قيس بن الأسلت » (انظر العيني ١٦٧/١) لأن الاخير هو أيضاً ينسب الى واقف مع أنه من وائل ، كذا في ابن هشام ١٧٨ .

(٧) نسب البيت الثالث الى قيس بن الخطيم في حم البحتري ١٦٦ (عنه في د ص ٤٣) .

[الرواية : القلاح (١)] (٢) .

وقال قيس بن رفاعة (٣) :

١ إن نصبح اليوم قد خفَّت مجالسُنا والموتُ أمرٌ لهذا الناس مكتوب

٢ لقد غَنينا وفينا سامِرٌ غَمِدٌ وصارخٌ كأتِيّ السَّيل مَرهوبُ (٤)

— ٦ —

[ص ١٨]

وقال القتّال الكلابي :

١ لقد ولدَتْ عوفَ الطّعان ومالكا وعمرو العُلى والحارثَ المتنجّبا (٥)

٢ رجالٌ بأيديهـا دماءٌ ونائلٌ يكادُ على الأعداء ان يتحلّبا

ومن هذا أخذ البحتري قوله (٦) :

١ وصاعقة في (٧) كفّه ينكفي بها على أرؤس الأبطال (٨) خمس سحائبِ

٢ يكاد النّدى منها يفيض على العِدى مع السيف في ثِنْيَيّ قنا وقواضبِ

(١) تقلح فلان البلاد : تكسب فيها في الجدب ، كذا في التاج ، ولعل هذا المعنى هو المراد هنا والا فالقُلاح صفرة تعلو الأسنان لا غير .

(٢) ثبت ما بين المعقفين بهامش م لا بالمتن .

(٣) البيتان مع ثالث في المرزباني ٢٣٤ لِـ « عمرو بن ثمابة وقيل (هكذا في ابن الجراح) عمرو بن رفاعة الواقفي الأوسي الجاهلي » وانظر اللآلي ٥٦و٧٠٢ .

(٤) قارن قول قيس بن الخطيم ، د ق ١٤/٤ :

إذا فزعوا مدّوا الى الليل (الليل) صارخاً كموج الأتيّ المُزبِد المتراكبِ

(٥) ا « المتنخّبا » م « المتجنّبا » وهذا الأخير تصحيف .

(٦) د ٧٣/١ والعسكري ١١٧/١ والمعاهد ٢٤٠ .

(٧) ا « من » بدل « في » .

(٨) ا « الأعداء » كما في المثل السائر ٢٢٩ وفي د « الاقران » .

والبحتري وان كان أخذ المعنى وأتى به في بيتين فقد جوّد وأحسن وَفَاقَ على وِفَاقِ (١) الأوّل بما أبدع في المعنى الأول وزاد لأنه صيّر السيفَ صاعقةً فيجوز ان يكون أراد حديدة من صاعقة على ما يحكي بعض الناس في الصواعق ، ويجوز أن يكون شبه السيف بالصاعقة لحدّته وانه يتلف ما مرّ به ، ثم ذكر انه ينكفي به على أرؤس الأبطال خمس سحائب يعني أصابع الممدوح (٢) ، ومن النادر في هذا البيت انه صير السحائب مع الصاعقة اذ كانا من جنس واحد ، وتقول الفلاسفة ان الصواعق تكون مع السحائب الصّيفية دون الأمطار المطبقة في الشتاء ، ومما يقوّي هـذا القولَ قولُ لبيد يرثي أخاه أربَد وقد أحرقته الصاعقة (٣) :

أخشى على أربدَ الحُتوفَ ولا أرهبُ نوءَ السماكِ والأسَدِ

وهذان الكوكبان من منازل القمر مطلعها في آخر الربيع وأوّل الصيف وهذا هو الحذق في الشعر وأخذ معانيه ، ومن أخذ المعنى هذا الأخذ فهو أحقُّ به ممن ابتدعه .... وبعدُ وقبلُ فقد سبق البحتري جميع الشعراء في هذا المعنى حُسناً وملاحة وصحة وفصاحةً .

يتبع : (القاهرة) الدكتور محمد يوسف

(١) ب « البيت » مكان « وِفاق » مع أثر الحك ، وليس هناك سهو .

(٢) جاء في العسكري : هذا البيت أجود ما قيل في معناه ، جعل السيف صاعقة وأصابع الضارب سحائب تجود على المؤملين بغيثها وتقتل معاديه بصاعقتها ، وفي المثل السائر ٢٢٩ : وهذا من النمط العالي الذي شغلت براعة معناه وحسن سبكه عن النظر الى استعارته والمراد بالسحائب الخمس الأصابع .

(٣) صار أربد (مع عامر بن الطفيل) الى النبي ﷺ ليقتله فأصابته صاعقة فهلك فقال فيه لبيد البيت ، انظر د ١٧ واللآلي ٢٩٧ — ٢٩٨ والآمدي ٢٩ والمرزباني ٢١٠ والشعراء ١٥١ .

تصحيح نهاية الأرب [1]

جزؤه الخامس عشر

- ١ -

ص ١٣ سطر ١٩ قوله (وهو يومئذ حَدَث السن) في المصباح (ويقال للفتى حديث السن فإن حذفت السن قلت حَدَث بفتحتين وجمعه أحداث) وصرحوا بتخطئة من قال حديث السن .

ص ٢٩ سطر ٥ قوله (كالمطهرة يقطر فيها ماء فينشّ الخ) نضب غار في الأرض . والنش صوت غليان القدر . والنش يكون بمعنى النضوب : لكن المراد هنا الثاني اذ لا معنى لقولنا يقطر في ماء فيأخذ في الغور في الأرض ثم يغور في الأرض وانما الأظهر ان يأخذ في الغليان كغليان القدر ثم يغور في الأرض . (راجع التعليق) .

ص ٢٩ سطر ٨ قوله (وجدوا مكاناً كالفوّارة العظيمة فيها ذهب) الفوارة بالفاء هو ما نسميه اليوم نوفرة ماء أو نافورة بدليل ما في أول ص ٧٥ (قباب ... يطلع من تحتها الماء في فوّارات وتنصب الى انهار) هذا معنى الفوارة في زمن المؤلف لكن قوله هنا (كالفوارة فيها ذهب) لا يناسب ان تكون بمعنى النوفرة فما صوابه اذن ؟ صوابه القوارة بالقاف ، ففي اللغة قوّر الشيء قطع من وسطه خرقاً مستديراً كما يقور الثوب والقُوارة (بتخفيف الواو) الشيء او الموضع الذي قوّر فقوله في عبارة الكتاب (مكاناً كالفوّارة فيها ذهب)

(١) راجع تصحيح الأجزاء السابقة في مجلدات المجمع سنة ٦ و ٧ و ٩ و ١٢ و ١٣ و ٢٠

يشعر بأن المراد فجوة او نقرة كالوهدة فيها ذهب . فصوابه القاف والتخفيف .

ص ٢٩ سطر ١٠ قوله (صفة فيها شيخ من حنتم أخضر الخ) فسر المصحح الحنتم بالجرار الخضر فيفهم القارئ الشادي بأن صورة الشيخ مركبة من جرار خضر . والجرار الخضر كما سميت بالحنتم وهو الأصل سمي كل خزف أخضر حنتماً باسمها أي باسم الجرار ، فالشيخ الفرعوني مصنوع من الخزف نفسه لا من الجرار الخزفية ، ونشاهد كثيراً في الآثار المصرية الفرعونية تماثيل جعلان متخذة من خزف ملون بالخضرة والأكثر بالزرقة ولا يخفى ان الزرقة والخضرة عند العرب لونان متداخلان ، فالسماء يسميها العرب الخضراء كما يسمونها الزرقاء . ومثل هذا السهو في تفسير الحنتم ما في آخر ص ٥٩ عند قوله (في براني الحَنْتَم) أي في قدور الخزف الأخضر لا في قدور الجرار الخضر . ويؤيد ما قلنا قول المؤلف ص ٨٣ سطر ١٢ (وفي أيام ذلك الملك عُملت الصورة الحنتمية من الضفادع والخنافس الخ) فقوله الحنتمية يريد المنسوبة الى خزف الحنتم وقوله الخنافس هي الجعلان الفرعونية التي أشرنا اليها آنفاً .

ص ٣٧ سطر ٤ قوله (وارتفعت عجاجة نار أحرقت وحالت بينه وبينهم) . احرقت لو كانت من الاحراق لذكر مفعوله او لقال محرقة . فالظاهر أن أحرقت محرفة عن (أعرضت) بمعنى اعترضت يقال اعترض الشيء اذا صار عارضاً كالخشبة المعترضة في النهر وقوله بعده (وحالت بينه وبينهم) عطف تفسير له . ففعل (أعرض) في كلام العرب يأتي بمعنى عرض الثلاثي ومنه قول الحماسي (ولما رأيت البشر أعرض بيننا) والبشر اسم جبل .

ص ٣٨ سطر ٧ قوله (وتحويلكم اياهم) بالحاء المهملة لا معنى له وصوابه تخويلكم بالخاء المعجمة بمعنى جعل أعدائكم خولاً أي عبيداً لكم : يقال خوّله الله مالاً اذا منّ به عليه .

ص ٣٨ سطر ٩ (ونبلغ له مجابه) . (مجابه) بالجيم لا معنى له وصوابه (محابّه) بالحاء المهملة وتشديد الباء جمع محبّ بمعنى ما يحبه الانسان ويحلو في نفسه ويشهد له ما جاء بعده ص ١١٥ سطر ١٢ (وأسنى جوائزهم ولم يمنعهم محابّهم) .

ص ٤٠ سطر ١٢ قوله (وكان الذي يتعبد منهم الكواكبَ السبعة) يتعبد فعل لازم بمعنى تنسّك ويكون متعدياً فيقال تعبد فلاناً اذا صيره كالعبد أو اتخذه عبداً . والكواكب هنا لا تصلح ان تكون مفعولاً لتعبّد بدليل السياق وبدليل ما قاله المصحح في تفسير كلمة (القاطر) فهي إذن مفعول لفعل سقط سهواً من المؤلف أو الناسخ وأصل الكلام هكذا (وكان الذي يتعبّد منهم يعبُدُ أو يخدم الكواكبَ السبعة) .

ص ٤١ سطر ١٣ (ومن الكهنة من يكون عليه بدنة جوهر اخضر أو أحمر) . فسر المصحح البدنة بالبقيرة وهي من ملابس النساء . هذا يحتمل والأكثر احتمالاً ان يكون المراد بالبدنة (البَدَن) وهو الدرع كما في كتب اللغة : فالكهنة كانوا يمرون أمام الملك بأزياء مختلفة منها ان يكون على احدهم درع رجال ، لا قميص نساء .

ص ٤٢ سطر ٦ قوله (وكأن فيها طيوراً بيضاء) الأفصح في وصف الجمع بنعتٍ من الألوان أو العيوب ان يكون بصيغة الجمع لا الإفراد فيقال طيور بيض لا بيضاء . وفي القرآن : غرابيب سود ، لا سوداء . وهي المسألة التي شغل نفسه وغيره فيها حقبة من الزمن المرحوم الأب انستاس الكرملي فكان لا يجوز ان يقال أبداً (كريّات بيضاء) بالافراد وانما (كريّات بيض) لكن الصحيح جوازه على ضعف .

ص ٤٢ قول المصحح في تفسير المقمعة انها خشبة غير سديد : لأن الأشهر في المقمعة ان تكون من حديد وفي القرآن (مقامع من حديد) فيحسن أن يقال : المقمعة من حديد وقيل تكون من خشب .

ص ٤٨ سطر ٢٠ (وجُعل على مدخل كل أزَج صورتين (كذا) من نحاس مشوّهتين) انما يصف المؤلف القبر او الهرم الذي بناه أحد فراعنة مصر لنفسه ولا يعقل ان ينصب صانعه على ابوابه صوراً مشوهة أي قبيحة بان يتعمد صانعها تقبيحها فلم يبق الا ان تكون محرفة عن (مموّهتين) أي بالذهب مثلاً. وخطر لي ان تكون (مشوهتين) محرفة عن مشبوهتين من (الشَّبَه) بالتحريك ففي التهذيب هو ضرب من النحاس يلقى عليه دواء فيصفر قال ابن سيده سمي بالشَّبَه لأنه أشبه بالذهب بلونه اهـ فعلى هذا يكون نحاس الصورتين مشبوهاً أي معالجاً بذلك الدواء الأصفر. وأقول هذا من عند نفسي ولم أجد نصاً عليه فالعبرة إذن بالقول الأول.

ص ٥٣ سطر ٢٠ قوله (فما انتما بمدركاني) نون الوقاية انما تدخل على الفعل المضارع كما قال قبله (تدركاني حتى تخبراني) أما اسم الفاعل فلا، فصوابه (فما أنتما بمدركايَ) بل صوابه (بمدركيَّ) لأنه مثنى مجرور بالباء.

ص ٦١ سطر ٦ قوله (اول من أقام للكواكب) سقط مفعول الفعل فيكون أصله (اول من أقام هياكل للكواكب).

ص ٦١ سطر ٧ قوله (منار على رأسه مرآة من أخلاط تورِي الأقاليم) ومثله ما في ص ٢٤٩ سطر ١١ (مرآة مورية للأجسام) الظاهر فيهما (تُري) و(مُرية) الأول مضارع والثاني اسم فاعل كلاهما من فعل (الرؤية) جيء به من باب الإفعال. ويبعد ان يكون من فعل (أورى) النار اذا أشعلها، اذ يقال في مثله: مرآة تُحرق أو محرقة للأجسام كمرآة منارة الاسكندرية التي كانت تحرق المراكب فيما زعموا. وفرق بين احراق النار وبين ايرائها. ويؤيد ما قلنا ما جاء للمؤلف نفسه في آخر ص ٧١ وهو قوله (كانت - تلك الأصنام - في هيكل المرآة التي تُرى منها الأقاليم).

ص ٨٣ سطر ٢ قوله (وجد البائع ورقة آس او قرطاس بدور الدرهم) لعل (بدور) محرفة عن (بدل) أو المراد ان شكل القرطاس على تدوّر الدرهم واستدارته فتكون (بدور) محرفة عن (بتدوّر) إذ فعله تدوّر واستدار لا دار .

ص ٨٦ سطر ٦ (رحى طوله مئة ذراع) صوابه (طولها) لأن الرحى مؤنثة ، نقله الفيومي عن الزجّاج .

ص ٨٧ سطر ٨ قوله (ان يقع عما هو عليه) صوابه (أن يقلع) .

ص ٩٠ سطر ١١ (فوقفوا على مدينة عامرة) قوله قبله (ضلوا عن الطريق) يستدعي ان يكون الصواب (فوقعوا) بالعين أي عثروا عليها وصادفوها فجأة .

ص ٩١ سطر ٨ (وقد تشعّب بعض حصنها) صوابه (تشعث) بالثاء المثلثة كما يأتي في ص ١٠٨ سطر ١٤ .

ص ٩٥ سطر ١٠ قوله (وتعرف بأزليته) صوابه وتعترف .

ص ١٠٢ قوله في الهامشة (ص ٥) صوابه (ص ٦) .

ص ١٠٥ قوله في الهامش (قالت : انْ يمُتْ يقال هي قتلته) لم يجوز المصحح ان يكون فعل (يقال) جوابًا للشرط فقدر للشرط فعلاً هو أعذّبْ . ولا حاجة الى ذلك لأنّ جواب ان الشرطية اذا كان مضارعًا جاز فيه الجزم وهو الأصل كما جاز فيه الرفع على الاستئناف .

ص ١١٨ سطر ٤ قوله (وصمّدها - اي المدينة - بعفاريت تمنع الداخل اليها) الأرجح ان تكون (صمّدها) محرفة عن حماها . كما يفهم من عبارة المقريزي التي استشهد المصحح بها .

ص ١٢٥ سطر ٥ قوله (فأمر الملك بكذا وبالزيادة في استنباط الأراضي) الاستنباط استخراج المياه من الآبار ونحوها ولو كان مراداً هنا لقال استنباط المياه فالظاهر ان يكون صوابه استنبات الأراضي أي معالجة الأراضيَ البور

بما يجعلها تُنبت ومثله ما في ص ١٣٢ سطر ٦ : (وأمر باستنباط العمارات واظهار الصناعات) لا معنى للاستنباط بمعنى استخراج المياه هنا أيضاً كما مر فالظاهر ان المراد بالعمارات الأراضي التي تعمّر بالحرث والزراعة والأسمدة وفي دمشق يسمون السماد التي تستصلح به الأرض عمارة فالاستنباط هنا أيضاً محرف عن استنبات في غالب الظن ·

ص ١٢٦ سطر ١ قوله (فأنّى لنا خبره) كذا في المقريزي · وقال المصحح وفي الأصل (أين) بالياء ولا يخفى ان (أين) هذه بمعنى أنّى وكلتاهما للاستفهام عن المكان وأرى ان صوابه(أبين) بالباء الموحدة أي أوضح وأظهر بدليل السياق ·

ص ١٣٢ سطر ١٢ قوله (وعمل كرةً من الفضة على عمل البيضة الفلكية) أقرب ما يكون تحريف كلة (عمل) عن كلة (شكل) · ويلاحظ ان قوله (البيضة الفلكية) يشعر بانهم في ذلك العهد كانوا يصطلحون على تسمية (كرة الفلك) بالبيضة الفلكية ·

ص ١٣٣ سطر ١٦ قوله (فكان أول من أذَى بني اسرائيل) صوابه مد همزة آذى اي ألحق بهم الأذى ·

ص ١٤٣ سطر ١٩ قوله (فاستوثق له الأمر) اي للملك (كيومرث) · في اللغة استوثق منه اذا أخذ منه الوثيقة · والوثيقة ما يستند اليه حين النزاع ولا يناسب هذا المعنى هنا (فاستوثق) في كلام المؤلف محرف من (استوسق) بالسين بمعنى اجتمع له الأمر · ومثله اتّسق له الأمر ، وهو مجاز وأصله من الوسق · وهو ان تجمع الأمتعة وتحملها على ظهر البعير · واكثر ما يستعمل اليوم في وسق السفينة : فمعنى استوسق للملك الأمر كما نقول اليوم استتبّ واستقرّ · وفرق بين استوثق من الوثيقة واستوسق من الوسق · فهنا من الوسق

كما قلنا . وكذا ما في ص ١٦٦ سطر ١٤ وهو قوله : (حتى استوثق له الأمر) صوابه استوسق بالسين . ومثلها ما في ص ١٨٤ سطر ١٤ وهو قوله (فاستوثق له المُلك) صوابه بالسين . أما في ص ١٥٢ سطر ٥ (فلما استوثق الملك سياوخش من ملك الترك) فهو من الوثيقة ولا خطأ فيه .

ص ١٤٥ سطر ٢ قوله عن الملك جمشيد (صنّف الناس وطبّقهم وأمّرَ لكل واحدٍ وظيفة) الظاهر ان يقول بوظيفة . وأما قوله طبّقهم بتشديد الباء من التطبيق فلم نجد له معنى مناسباً في المعاجم . ولولا قوله قبله (صنّف الناس) لقلنا ان طبّق محرف عن صنّف . والظاهر ان مراده بطبّقهم جعلهم طبقات لكل طبقة منهم مزاياها او امتيازاتها كما نقول اليوم . ومثله ما في ص ١٥٥ سطر ١٣ قوله (وقوّد على تلك العساكر) اي أقام قوّاداً عليهم . والتقويد بهذا المعنى لم يرد في اللغة . وفعل (التطبيق) و (التقويد) يجريان مجرى أفعال كثيرة وردت من باب التفعيل لإفادة التعدية أو التكثير وقد شاعت على ألسنة الكتّاب في هذه الأزمنة المتأخرة وأخذ بعضهم يلوم بعضاً في استعمالها كالتشريع والتنفيذ والتبرير والترزيق والتعضيد ونحوها وكتبت عنها مقالاً نشرته في مجلة المجمع سنة ٢٥ صفحة ٦١١ ملت فيه الى الجواز فليرجع اليه من أحب .

ص ١٥٣ قوله في الهامش مفسراً فعل (قاظ) بأقام : في هذا التفسير قصور وصوابه ان يقال : أقام في زمن القيظ . ومثل هذا التسامح في تفسير الفاظ اللغة كثير في الكتاب .

ص ١٦٢ سطر ٢٠ قوله (فدخل اسفنديار بلاد الترك ... ودخل مدينة الصفر عنوة) الصفر على اختلاف ضبط حركاتها بقاع في بلاد العرب . وبالتشديد صحراء بين دمشق والجولان . ولم يعهد لاسفنديار ملك الفرس اكتساح لها

فالصغر اذن محرف عن الصُغد بالغين والدال وضم الأول وهي كورة من بلاد ما وراء النهر قصبتها سمرقند . وهي المرادة هنا .

ص ١٩٨ سطر ٨ قوله (وان نعطيهم من ارض الكَرَج وبلنجر الخ) ضبطت كلمة الكرج بفتح الكاف والراء . قال المصحح هي مدينة بين اصبهان وهمذان . وفيه نظر لأن هذه المدينة اسلامية بناها أبو دُلَف العِجلي كما في معجم البلدان لياقوت . وابو دلف من امراء الخلافة العباسية الأولى . وعبارة المؤلف واردة في كلام كسرى انوشروان يحكي عن نفسه أموراً يرويها بشكل (مذكّرات) فأرض الكرج التي ذكرها كسرى انما هي بضم الكاف وسكون الراء وتسمى اليوم (كرجستان) وبعضهم يسميها (جورجيا) وموقعها في شمال ارمينية او في سفوح جبال قفقاسيا . وقد قرنها كسرى في الذكر ببلنجر وصُول وهما كما قال المصحح من بلاد الخزر خلف مدينة (درنبد) المسماة ايضاً باب الأبواب . وكل تلك البلاد على حدود بلاد الترك فلا يعقل أن يعطي كسرى الترك مدينة في قلب مملكة فارس وانما يعطيهم بلاداً في اطرافها وعلى حدود بلادهم .

ص ٢٠٦ سطر ١٨ قول كسرى (انا لم نكره أحداً على غير دينه ولم نحسدهم ما قبلنا) لا معنى للحسد هنا فهي محرفة عن نحسّن لهم ما قبلنا) او (نحمّلهم ما قبلنا) يفخر كسرى بانه لا يلزم الأقليات في مملكته بمارسة دينه وتعاليم ملته .

ص ٢١٢ سطر ١ قوله (فغار مركب ووقع في حرث كان على الطريق) صواب فغار بالمعجمة فعار بالمهملة ومعنى عار المركب (اي الدابة) أفلت من صاحبه وجعل يركض هنا وهناك لا يثنيه شيء . فهذا المركب الذي أفلت دخل في الزرع يأكل ما فيه ومنه المثل (احق الخيل بالركض المعار) اي الفرس المفلت ينشط للركض وهو جدير بالركض .

ص ٢١٥ سطر ٤ قوله (فأشفق ابرويز من الحديث) صوابه من الجيش بدليل ما قبله ·

ص ٢١٦ قول المصحح في تفسير (أطلّنا) أشرف علينا لا نراه صواباً لأن فعل أطلّ بالمهملة يتعدى بحرف الجر (على) فالأصوب أن يكون (أظلّنا) بالظاء المعجمة فانه يتعدى بنفسه يقال: أظل الشيءُ فلاناً اذا غشيه · وقال الزمخشري في اساس البلاغة يقال: أظلّكم فلان اي أقبل ·

ص ٢٣٠ سطر ١٨ (عليهم الدروع والبيض) ضبطت البيض بكسر الباء يعني السيوف وصوابه فتحها جمع بَيْضة: وهي الخوذة بدليل قوله (عليهم) اذ هي مما يلبس ·

ص ٢٣١ سطر ٣ قوله (وهم بالقرب من بعضهم بعضاً) تركيب غير صحيح ولعله من صنيع النساخ لا من صنيع المؤلف · وصوابه (وهم بقرب بعضهم من بعض) ·

ص ٢٣٦ قول المصحح في الهامش (المراد بأرض الجزيرة بلاد الجزيرة الحالية التي عاصمتها بغداد) غير سديد لأن أرض الجزيرة او الجزيرة اذا أُطلقت أريد بها الجزيرة الفراتية تمييزاً لها عن جزيرة العرب · وسميت الجزيرة لوقوعها بين دجلة والفرات كما في معجم البلدان · ومدنها كثيرة بعضها اليوم واقع في حوزة الجمهورية السورية وبعضها تابع للجمهورية التركية · واهم مدنها السورية الرقة والحسجة والقامشلي التي هي مركز محافظتها · ولم تكن بغداد من مدن الجزيرة يوماً من الأيام فضلاً عن ان تكون عاصمةً لها ·

ص ٢٤٢ ذكر المؤلف في هذه الصفحة نسباً عجيباً للاسكندر ثم قال ما نصه (هذا ما نقله عبد الملك بن عبدون في كتابه المترجم بكمامة الزهر الخ) اقول قوله (ابن عبدون) سهو من المؤلف او من ناسخ كتابه الأصلي وكان على المصحح ان ينبه اليه · والا فان عبد الملك شارح قصيدة ابن عبدون

هو ابن بدرون لا ابن عبدون وهو المسمى عبد الملك والذى يفصّل الأنساب عادة هو الشارح لا الشاعر صاحب القصيدة الذي هو بمنزلة الماتن (صاحب المتن) فالشاعر ابن عبدون قال :

(هوت بدارا وفلّت غرب قاتله وكان عضباً على الأملاك ذا أثر)
(واسترجعت من بني ساسان ما وهبت ولم تدع لبني يونان من أثر)

فجاء الشارح ابن بدرون فترجم الاسكندر وذكر هذا النسب العجيب له ، ومن العجيب ان هذا السهو تكرر في ص ٢٤٣ و ص ٢٤٥ و ص ٢٩١ وربما تكرر في غيرها .

ص ٢٤٤ سطر ١٠ قوله (واذا كانت بنية الانسان الخ) ليس لإذا جواب فالظاهر ان صوابه (اذ كانت الخ) من دون ألف بعدها ولا واو قبلها لتقع تعليلاً لما تقدم قبلها من انحلال عقدة جسد الانسان وطروء الفناء والدثور عليه .

ص ٢٤٤ سطر ١٧ قوله (فاحملوا ذلك الى عندي) صوابه فاحملوا ذلك اليّ قالوا : (وقول العامة ذهبت الى عنده لحن والصواب ذهبت اليه) .

ص ٦٤٦ سطر ١ قوله (وهل فى الكون والفساد موضع فارغ الخ) الظاهر ان يكون أصله وهل في عالم الكون والفساد الخ .

ص ٢٤٦ سطر ١٥ قوله (ومعرفة ارتباط أبْعُضِها ببعضها) صوابه بعضها ببعض بدليل قوله بعده (وقبض بعضها عن بعض) وبعض تجمع على أبعاض لا أبعض .

ص ٢٤٧ سطر ١٣ قوله (وطال الخطب في مناظرتهم) السياق ان يقال (وطال الخطاب في مناظرتهم) ولو كان المراد بالخطب الأمر الفظيع لقال (واشتد الخطب) على ان المقام يستدعي المعنى الأول .

ص ٢٥٠ سطر ٨ قوله (كان له معه منظرات دلت على ثبوت قدمه في علمه) صوابه مناظرات .

ص ٢٥٢ سطر ٨ قوله (فما رأيت بيني وبين الملوك من يستحق الخ) صوابه فما رأيت بين الملوك الخ ٠

ص ٢٥٣ ذكر المؤلف أقوال الحكماء في الاسكندر عند وفاته ومنهم رابعهم الذي قال (قد جاب الأرض وسلكها ثم حصل منها في أربعة قوائم) لا جرم ان يكون المراد بالقوائم هنا جمع قائمة واصل القوائم للدابة ثم استعيرت للخوان والسرير ونحوه كالنعش فالاسكندر سَلَكَ أو مَلَكَ الأرض كلها ثم مات فكان مصيره الى حصوله او حصره في النعش فيكون صواب العبارة (ثم حصل منها اي من تلك الأرضين في يده أربعة قوائم أو حصّل (بالتشديد) أربعة قوائم او ثم حُصر منها في اربعة قوائم او بين اربعة قوائم) ٠ والحاصل ان سبك الجملة مختل يحسن الاشارة الى تقويمه إعانةً لقارئ الكتاب على فهمه ٠

ص ٢٥٣ سطر ١٥ قوله (فملك بعد الاسكندر على اليونانيين بطليموس) وقوله ص ٢٥٤ سطر ١٤ (وكان زوج قلوبطرة بطليموس ويسمى انطونيوس مشاركاً لها في ملك مكدونيا وهي مصر) وقوله ص ٢٦٤ سطر ٣ (واحتوى هذا الملك على مقدونية وهي مصر والاسكندرية) في هذه النصوص ما يخالف الحقيقة ولا سيما كون مكدونيا هي مصر والاسكندرية فلا نقول المؤلف انما نقول ان نساخ كتابه حرفوا فيه وغيروا ٠ فيحسن التنبيه الى ما أخطأوا فيه لفائدة القارئ الساذج والطالب الشادي ٠

ص ٢٥٥ سطر ١ قوله (حتى تشفل الحية عليه سمًّا) صوابه تتفل بالتاء المثناة أي تنفث وتمج وتبصق ٠ ومثله قوله في موضع آخر (ثفلت عليه الحية) صوابه تفلت بالتاء المثناة ٠

ص ٢٥٥ سطر ٦ قوله (واغسطس يظن ان قلوباطرة باقية) صوابه غافية أو نائمة ٠

ص ٢٦٨ سطر ١١ قوله (لو كان لله شريك في شيء من امره لضبط ما ضبط) ظاهره ان فاعل (ضبط) الأول راجع الى الشريك على معنى ان شريك المولى تعالى يضبط من أمر الكون ما يضبطه المولى تعالى . ولا أظن هذا مراداً ولا مغنياً في توحيده تعالى . واذا جعلنا ضميره عائداً الى الله تعالى لما كان للكلام فائدة أيضاً ولا محصل . فلعل صوابه (لما ضبط ما ضبط) أي لو كان لله شريك لما أمكنه تعالى ان يضبط الكون لأن الشريك إذ ذاك ينازعه التصرف فيه . وينطبق إذ ذاك معنى الكلام على معنى الآية الكريمة (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) ويكون قوله (لما ضبط ما ضبط) في مقابل قول الآية (لفسدتا) .

ص ٢٦٩ سطر ٣ قوله (آووا الى الكهف) و ص ٢٧١ سطر ١٤ (حتى آووا الى الكهف) بمد همزة آووا فيهما فيصبح الفعل بهذا المد متعدياً وهو هنا لازم لا متعدٍ فالصواب (أوَوْا) في المكانين من دون مد .

أما ما في ص ٣٤٩ سطر ١٦ من قوله (مالك أَوَيْت هذا المشؤوم) من دون مد الهمزة فصوابه (آويت) بمدها لأنه متعدٍ الى مفعوله .

ص ٢٧٠ سطر ١٩ قوله (عمد الى مشيخة من أهل المدينة توسَّم فيه الخير) صوابه (فيهم) لأن (مشيخة) جمع شيخ كمشايخ ومشيوخاء وشيخان وشيخة الخ .

ص ٢٧١ سطر ٦ قوله (أفكل هذه المدينة تؤمن بهذا النبي — قالوا نعم الا مستحقاً بذنب او ظالماً لنفسه) . (مستحق) اسم مفعول اي ان المرء اذا أذنب استحقه الله للعذاب . واري ان فيه تكلفاً . فالأرجح ان تكون مستحقاً بالقاف محرفة عن (مستخفاً بذنبه) والاستخفاف بالذنب مؤذن بتكراره وعدم المبالاة بفعله . بل الأرجح ان تكون مستحقا محرفة عن (مستحقباً) بالباء بعد القاف ومعنى المستحقب للذنب المرتكب له : يقال احتقب فلان

واستحقب شرًّا او اثمًا او ذنبًا اذا احتمله وادّخره . وهو مجاز من الحقيبة التي يحملها الراكب خلفه . ومنه قول امرئ القيس :

(فاليوم أسقى غير مستحقبٍ إثمًا من الله ولا واغل)

ص ٢٧٢ سطر ١٦ قوله (وان الله يبشّرهم اي اصحاب الكهف عند نزول عيسى الخ) صوابه ينشرهم من النشور أي يبعثهم من قبورهم بدليل ما بعده .

ص ٢٩٢ سطر ٧ قوله (وسُمّي الرائش لأنه لما أدخل الغنائم بلاد اليمن فراشَ الناسَ في أيامه) ادخال الفاء على فعل (راش) الواقع جوابًا لقوله لما ادخل الغنائم — غير سديد . ونصب (الناس) على المفعولية غير واجب بل الأكثر استعمالاً في مثل هذا المقام ان يكون (الناس) مرفوعًا على الفاعلية ويكون المعنى ان ملك اليمن الملقب بالرائش لما أدخل الغنائم راش الناسَ بالنصب (اي كساهم واغناهم) . أو (راش الناسُ) بالرفع اي استغنوا . ففي مستدرك التاج (قال الفراء راش الرجل استغنى) ففعل راش يأتي لازمًا ومتعديًا . وهو هنا يحتملها . وفي الحالتين لا حاجة الى ادخال الفاء عليها .

ص ٣٠٠ سطر ١٦ قوله (فجمع الكهنة والقِياف والعرّافين) ضبطت (القِياف) بكسر ففتح على وزن عِيال وهو غير سديد لأنه ان كان مفردًا فالواجب ان يقال (القَوّاف) أو (القيّاف) بالتشديد فيها وهما بمعنى القائف كما في مستدرك التاج . على أن المناسب هنا ان يكون جمعًا لوقوعه بين جمعين . وجمع القائف (قافة) كما في كتب اللغة . ولو فرضنا ان (القياف) في عبارة المؤلف مراد بها جمع (قائف) لوجب ان يقال (قُوّاف) بضم أوله وبالتشديد كنوّام جمعًا لنائم او (قِيّاف) بالتشديد وبكسر القاف لمناسبة الياء كما اذا قلنا شِيّاب في جمع شائب .

ص ٣٠٥ سطر ١٢ قوله (ولأُهرِقَنّ دمه بكفي) هذا على قول من

جوّز الجمع بين الهمزة والهاء في فعل أهراق الماء يُهريقه . ولكن لا داعي الى حذف (الياء) الواقعة قبل القاف . فالواجب ان يقال (ولأُهريقَنّ دمه بكفي) .

ص ٣٠٩ سطر ١٤ قول ملك الروم (ان الجيش على ديني) ظاهر السياق ان يقال (ان الحَبَش على ديني) ودينه النصرانية كما هو دين الحبش فكيف يُعين سيف بن ذي يزن على طردهم من بلاده .

ص ٣١٢ سطر ١٣ قوله (أَلْقِه) فعل أمر من ألقى الشيء اذا طرحه من يده . وهذا المعنى ليس هو المراد هنا وانما المراد الأمر من فعل اللقاء فهو ثلاثي مكسور الهمزة مفتوح القاف محذوف الألف للجازم .

ص ٣١٨ سطر ٥ قوله (طعن بوّاب الحصن في جوالق بعود فأصابت خاصرة الرجل فخنق) صوابه (فحبق) بالباء التحتية لا النون الفوقية من الحُباق الذي له صوت سمعه البواب ولذا قال (اشنا اشنا) وهي كلمة نبطيـة معناها (شرّ في هذه الجوالق) أما الخنق وهو الغيظ فلا صوت له يسمع .

ص ٣٢٠ سطر ١٧ قوله (فان حالوا ملكاً) صوابه فان حاولوا .

ص ٣٢٠ سطر ١٨ قوله (وعرَضوا بغداء) صوابه تشديد الراء لا تخفيفها والتعريض بالشيء خلاف التصريح .

ص ٣٢١ سطر ١ قوله (لقد شرّفونا) صوابه شَرَفونا بتخفيف الراء اي فاقوا علينا في الشريف وبالتشديد لا تفيد هذا المعنى .

ص ٣٢١ سطر ١٤ قوله (عدي بن زيد العبّادي) بتشديد الباء صوابه تخفيفها نسبة الى عِباد جمع عَبْد وهو اسم لقوم من نصارى عرب الحِيرة .

ص ٣٢٣ سطر ١٨ (لا يروي عنه خيراً) بالياء المثناة صوابه (خبراً) بالباء الموحدة او الأصوب (لا يروي عنه الا خبراً) وسياق القصة يؤيده .

ص ٣٢٤ سطر ٧ قوله (ولكنه لا يسلّم عليه احد) كذا بتشديد اللام والأظهر ان تكون مخففة من السلامة ومعنى لا يسْلم عليه أحد لا ينجو احد من لسانه · وسياق القصة يؤيد ما ذكرنا · ويقولون في بعض اللهجات الحديثة (فلان لا يسلم منه احد) يريدون انه يكثر الوقيعة في الناس ·

ص ٣٢٥ سطر ١٥ قوله (ولم نجرء ان نخبر النعمان فرِقاً منه) كذا بكسر الواو وصوابه (فرَقاً) بفتحها لأنه مصدر لا وصف وإلا لقال فرِقين منه بصيغة الجمع ·

ص ٣٢٦ سطر ١٤ قوله (وظيفة من الأفراس والمِهارة والأقط والأدْم وغير ذلك) قول المصحح في تفسير (المهر) هو أول ما يفتح من الخيل صوابه ينتج · وضبطه لكلمة (الأدْم) بسكون الدال صوابه اما فتحهـا مع فتح الهمزة او بضمتين وكلاهما جمع للأديم بمعنى الجلد · أما ان يراد (الأُدْم) بضم الهمزة وسكون الدال جمعاً لإدام وهو اسم عام لكل ما يؤتدم به مع الخبز فبعيد أن يكون مراداً هنا كما لا يخفى · أما الجلود فمن أدوات الحرب ·

ص ٣٢٧ سطر ١٩ قوله في صفة الجارية التي طلبها كسرى من النعمان (رداح الأَقبال · رابية الكفل · مفعمة الساق · لفّاء الفخذين · مشبعة الخلخال) فسر المصحح الرداح بثقيلة الأوراك · وفسر الأقبال وهو جمع قَبَل بالتحريك بما استقبلك من مشرف · فوقع التناقض : إذ أن الأوراك وهي الأكفال تُستدبر ولا تُستقبل · فالأقبال جمع قُبُل بضمتين · ففي المصباح (والقُبُل لفرج الانسان بضم الباء وسكونها والجمع أقبال) والعرب قد يصفون الأقبال بما توصف به الأوراك · قالت الأعرابية المرقّصة (كأنني أجلس فوق رابيه) ويُحتمل ان تكون (الأقبال) محرفة عن الاكفال ويكون قوله بعدها (رابية الكفل) من تداخل الروايات وعبث النساخ · ويقع مِثله

في المخطوطات كثيراً بل في هذا النص نفسه فقد قال (مفعمة الساق) ثم قال (افّاء الفخذين ، مشبعة الخلخال) وهي بمعنى واحد تقريباً . واحتمال ثالث : ان يكون مع رواية (رداح الأكفال) رواية (رابية القُبُل) بدل (رابية الكفل) فلا تكرار . وقد مرت الاشارة الى احتمال وقوع هذا الوصف في كلام العرب ومنه رجز المرقّصة المذكور آنفاً .

ص ٣٢٨ سطر ٦ قوله في صفة الجارية المذكورة ووصف حالتها وقت الخلوة بها (تحمر وجنتاها وتذبذب شفتاها) الذبذبة التحرك ويوصف به الشيء المعلق عادة لا ما كان مثل الشفتين . فالأظهر ان يكون صواب الكلمة (تذبّبت) شفتاها بالذال المعجمة ومعنى تذبب الشفة جفاف ريقها . أو هي (تزببت) بالزاي يقال (تكلّم فلان حتى زبّب فمه) اي اجتمع الزّبَد في شدقيه . لكن الأول أي جفاف الريق ارجح ان يكون مراداً في تلك الحالة حالة تعطل لغة الكلام .

ص ٣٢٨ قول المصحح في تفسير (بضّة المتجرد) بأن البضّة هي الناعمة فيه نظر لأن بضاضة الجسم امتلاؤه سمناً مع صفاء بياضه وقد تكون مع ذلك نعومة لكن النعومة ليست أصلاً في المعنى . على ان البشرة قد تكون ناعمة من دون سمن وامتلاء . فهل يصح ان توصف بالبضاضة ؟

ص ٣٣٣ قول المصحح عن النابغة الجعدي انه (كان أوصف الناس للتخيل) صوابه أوصف الناس للخيل .

(يتبع) المغربي

الموفي في النحو الكوفي

للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي الحنفي

علق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار

— ٩ —

حروف النداء : « يا » أعمُّ [١] . و (أي ، والهمزة) للقريب . وأيا وهيا وآي وآ آي للبعيد [٢] .

حروف التنبيه : ألا ، وأما ، لها الصدر [٣] ، و (ها) تدخل على

(١) فإنها تدخل على كل نداء ، وتتعين في نداء اسم الله تعالى ، وفي باب الاستغاثة نحو : يالله للمسلمين ! وينادى بها القريب والبعيد .

(٢) في الرضي : وقد جاء : ءا (بهمزة بعدها ألف) و ءاي (بهمزة بعدها الف ، بعدها ياء ساكنة) وقال : (وأيا وهيا ، وآ ، وآي ، ووا) في البعيد . قلت : وقد تقدم حكم المنادَى والمستغاث والمندوب في بحث « النداء والمنادَى » (٦٤ — ٧٠) من هذه الرسالة .

(٣) في الرضي : اعلم أنَّ (ألا وأما) حرفا استفتاح ، يبتدأ بها الكلام ، وفائدتها المعنوية توكيد مضمون الجملة ، وكأنهما مركبتان من همزة الإنكار ، وحرف النفي ، والإنكار نفي ، ونفي النفي إثبات ، ركب الحرفان لإفادة الإثبات والتحقيق ، فصارا بمعنى (إنَّ) إلاَّ أنهما غير عاملين ، تدخلان على الجملة خبرية كانت أوطلبية ... وتختصان بالجملة بخلاف (ها) وفائدتهما اللفظية كون الكلام بعدهما مبتدأ به ، وقد نسب التنبيه اليهما (٢/٣٥٣) قلت : وتجد الشواهد عليها في حرفها من مغني اللبيب .

المفرد أيضاً [1] .

حروف التحضيض [2]: هلاّ ، وألا ، ولوما ، ولولا ، لها الصدر ، فني المستقبل للحض ، وفي الماضي للوم [3] .

---

(١) وأما (ها) فتدخل — على اسم الإشارة ، وعلى ضمير الرفع المخبر عنه باسم اشارة نحو « ها أنتم أولاء » وعلى النعت أي في النداء نحو : يا أيها الرجل ، وعلى اسم الله تعالى في القسم عند حذف الحرف ، يقال : ها الله بقطع الهمزة ووصلها ، وكلاهما مع إثبات ألفها وحذفها (انظر المغني) واعلم انه ليس المراد بقولك : (ها أنا ذا أفعل) أن تعرف المخاطب نفسك ، وأن تعلم أنك لست غيرك ، لأن هذا محال ، بل المعنى فيه استغراب وقوع مضمون الفعل المذكور بعد اسم الإشارة ، قال تعالى : « ها أنتم أولاء تحبونهم » فالجملة بعد اسم الإشارة لازمة لبيان الحال المستغربة ، ولا محل لها إذ هي مستأنفة (عن الرضي ملخصاً) . (٢) إن معناها إذا دخلت في الماضي التوبيخ واللوم على ترك الفعل ، ومعناها في المضارع الحض على الفعل والطلب له ، فهي في المضارع بمعنى الأمر ، ولا يكون التحضيض في الماضي الذي قد فات ، إلاّ أنها تستعمل كثيراً في لوم المخاطب على أنه ترك في الماضي شيئاً يمكن تداركه في المستقبل ، فكأنه من حيث المعنى للتحضيض على فعل مثل ما فات .

(٣) ذكر في الأوضح من هذه الحروف لولا ولوما نحو « لولا نُزّل علينا الملائكة » « لو ما تأتينا بالملائكة » قال : ويساويها في التحضيض والاختصاص بالأفعال هلاّ ، وألاّ (بالتشديد) وألا (بالتخفيف) قال الناظم :

وبها التحضيض مِزْ وهلاّ ألاّ ، ألاَ ، وأوْلِيَنْها الفعلا

حروف المصدر : «ما» للفعلية [١] و «أنْ» [٢] و «لو» [٣] ، وقد يرد أنْ بمعنى «إذ» كقوله جل جلاله : «عَبَسَ وتولّى أنْ جاءه الأعمى [٤]» . و «أنّ» للاسمية ، إلاّ أنّ مخففتها تدخل على الفعلية أيضاً [٥] . ولا يرد (أن) للتفسير [٦] .

---

(١) «ما» المصدرية نوعان ، زمانية وغيرها ، فغير الزمانية نحو «وضاقت عليهم الأرض بما رحبت» أي برحبها ، وزمانية نحو : «وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً» أي مدة دوامي حياً . وتوصل بالفعل المتصرف ، إذ الذي لا يتصرف لا مصدر له حتى يؤول الفعل مع الحرف به .

(٢) أنْ هذه موصول حرفيّ وتوصل بالفعل المتصرف ، مضارعاً كان نحو «وأن تعفو أقرب للتقوى» او ماضياً نحو : «لولا أنْ مَنَّ الله علينا» .

(٣) تكون حرفاً مصدرياً بمنزلة (أنْ) إلاّ أنها لا تنصب ، واكثر وقوع هذه بعد ودّ أو يود نحو «وَدّوا لو تُدْهِنُ» «يودُّ أحدهم لو يُعَمَّر» ومن وقوعها بدونها قول الأعشى :

وربما فات قوماً جل أمرهم من التأني وكان الحزم لو عَجِلوا

(٤) أي كما تجيء عندهم إنْ الشرطية بمعنى «إذ» أيضاً كقوله تعالى «وإن كنتم في ريب» وقوله «إن كنتم مؤمنين» .

(٥) وقد تقدم شرح هذا عند قول المؤلف : وقد تخفف المفتوحة ، فتلغى ، فتدخل الاسمية والفعلية (ص ١٤٨) .

(٦) أن للتفسير : هي المسبوقة بجملة فيها معنى القول دون حروفه ، نحو : «فأوحينا إليه أن اصنع الفلك» وفي المغني : وزعم الكوفيون أنّ (أنْ) هذه ، هي المخففة من الثقيلة ، شذّ اتصالها بالفعل .

حرفا الاستقبال : السين [١] وسوف [٢] .

حرف التعريف : « أل » للعهد [٣] ، أو الاستغراق، [٤] أو الجنس [٥] .

حرف التوقع : « قد » للتقريب في الماضي ، والتحقيق في الحال ، والتقليل في الاستقبال [٦] .

حرف الردع : كلا . وقد جاء بمعنى « حقاً » [٧] .

---

(١) حرف يختص بالمضارع ، ويخلصه للاستقبال ، ويتنزل منه منزلة الجزء ، ولهذا لم يعمل فيه مع اختصاصه به . وليس مقتطعاً من سوف خلافاً للكوفيين قلت ورجح ابن مالك مذهبهم (انظر الأمير على المغني) .

(٢) مرادفة للسين أو أوسع منها على الخلاف ، والثاني للكوفيين .

(٣) إما أن يكون مصحوبها معهوداً ذكريا ، نحو « فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري » أو ذهنياً نحو « إذ هما في الغار » . ونحو : « إذ يبايعونك تحت الشجرة » . (٤) نحو : « وخلق الإنسان ضعيفاً » . ونحو « إن الإنسان لفي خسر إلاّ الذين آمنوا » .

(٥) نحو « الرجل أقوى من المرأة » . (٦) ففيه إذن ثلاثة معان مجتمعة : التقريب ، والتحقيق ، والتوقع ، وقد يجتمع مع التحقيق ، وتقريب الماضي من الحال ، التوقع ، ومنه قول المؤذن : قد قامت الصلاة ، أي يكون المصدر ، متوقعاً . (٧) الردع بمعنى الزجر ، فاذا قال انسان : فلان يرتكب الإثم ، فيقول الآخر : كلا ، ردعاً له ، أي ليس الأمر كما تقول . وتكون بمعنى « حقاً » وفي التنزيل « كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى » .

حروف الزيادة[١] : الباء في الحال بعد « ليس »[٢] والخبر بعد « ما » ، وما يشبهها في غيرها سماع[٣] ، و « مِن » في الموجب وغيره نحو قوله تعالى : « يغفر لكم من ذنوبكم »[٤] و « اللام » قليلاً[٥] . و « لا » بعد واو العطف[٦] .

---

(١) إنما سميت هذه الحروف (حروف الزيادة) لأنها قد تقع زائدة ، لا لأنها لا تقع الا زائدة ، بل وقوعها غير زائدة أكثر ، وسميت أيضاً حروف الصلة لأنها يتوصل بها الى زيادة الفصاحة ، او الى اقامة وزن او سجع او غير ذلك . (٢) نحو : « أليس الله بكاف عبده » وقد ذهب الكوفيون الى أن خبر « كان » وأخواتها ، والمفعول الثاني لظننت ينصبان على الحال ، فمعنى قوله : الباء في الحال بعد « ليس » أي يزاد الباء في خبر ليس الذي يعرب حالاً . (٣) نحو : ما زيد براكب ، وتزاد سماعاً في المفعول به نحو : ألقى بيده ، وتضمر كثيراً مع لفظ الجلالة في القسم نحو : اللهِ لأفعلنّ ، وشاذاً قليلاً في غيره كقول رؤبة (خيرٍ) لمن قال له : كيف أصبحت ؟ وبقية البحث في الرضي (٣٠٥/٢) . (٤) فـ (مِنْ) في حيز الإيجاب ، وهي داخلة على المعرفة كما رأيت ، وفي غير الموجب نحو قوله : ما رأيت من أحد ، والكوفيون والأخفش لا يشترطون كونها في غير الموجب ، ودخولها في النكرات ، كما يشترط البصريون . (٥) نحو «وإذبوأنا لإبراهيم مكان البيت) لقوله : « ولقد بوأنا بني اسرائيل » . (٦) نحو : « ما جاءني زيد ولا عمرو » قال في المغني : ويسمونها زائدة ، وليست زائدة البتة ، ألا ترى أنه اذا قيل : ما جاءني زيد وعمرو ، احتمل أن المراد نفي مجيء كل منهما على كل حال ، وأن يراد نفي اجتماعهما وقت المجيء ، فاذا جيء بلا ، صار الكلام نصاً في المعنى الأول اهـ .

و «ما» بعد إذا ، ومتى ، وأيّ وأين الشرطيات [١] ، وحرف الجر [٢] ، وإنْ ، بعد ما المصدرية قليلاً [٣] ، ولما ، وأن بعد لمّا [٤] ، وبين القسم ولو [٥] ، وبعد بعض نواصب المضارع كما ذكرنا [٦] .

الجملة اسمية وفعلية [٧] : وأصلها التمام ، فلا إعراب لها إلاّ اذا قامت

(١) في المغني : وتزاد بعد أداة الشرط جازمة كانت نحو : «أينما تكونوا يدرككم الموت» «وإمّا تخافنّ» أو غير جازمة نحو : «حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم» وفي الرضي : ويجوز اتصال (ما) الزائدة بإنْ ، وأيّانَ ، وأين ، ومتى ، إذا أفادت معنى الشرط ، نحو : «إذا ما تكرمني أكرمك» الخ .

(٢) نحو : «فبما رحمة من الله لنت لهم» وقلّت زيادتها بعد المضاف نحو : من غير ما جرم . (٣) نحو :

ورجّ الفتى للخير ما إنْ رأيته على السنّ خيراً لا يزال يزيد

(٤) نحو : «فلما أن جاء البشير» .

(٥) نحو : «وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا» .

(٦) وفي الرضي : وأجاز الأخفش أن تنصب (أن الزائدة) .

(٧) الجملة : قول مؤلف من مسند ومسند إليه ، والاسمية هي التي صدرها اسم ، والفعلية هي التي صدرها فعل نحو : «جاء الحق ، وزهق الباطل ، إنّ الباطل كان زهوقا» . وقد عقد ابن هشام في المغني باباً فيما يجب على المسؤول في المسئول عنه أن يفصل فيه ، لاحتماله للاسمية والفعلية ، لاختلاف التقدير ، أو لاختلاف النحويين ، وذكر لذلك عشرة أمثلة (٢/٤٠) .

مقام المفرد، فالأول[١] كالمستأنفة[٢]، والمعترضة[٣]، والصلة[٤]، وجواب القسم[٥]،

(١) أي القسم الأول وهو الجُمَل التي لا محل لها .

(٢) المستأنفة أوضح من قولهم الابتدائية ، لأن الجملة الابتدائية تطلق أيضاً على المصدرة بالمبتدأ ، ولو كان لها محل ، والمستأنفة نوعان (١) المفتتح بها النطق نحو : « الله نور السموات والأرض » ومنه الجمل المفتتح بها السور . و (٢) المنقطعة عما قبلها ، نحو : مات فلان ، رحمه الله ، وقوله تعالى في شأن ذي القرنين : « قل سأتلو عليكم منه ذكرا ، إنا مكنا له في الأرض » .

(٣) كقول عوف بن محلّم الخزاعي مات (نحو ٢٢٠ هـ) من قصيدة :

إن الثمانين — وبلغتَها قد أحوجت سمعي الى ترجمان

وقوله : وبلغتها دعاء للمخاطب بأن يبلغها ، وأبو المنهال هذا هو أحد العلماء الأدباء ، انظر ارشاد الأريب (٦/٩٥) ثم ان الجملة المعترضة بين شيئين تفيد الكلام تقوية وتسديداً ، أو تحسينا ، وقد وقعت في مواضع كالمبتدأ وخبره ، والفعل ومرفوعه ، والفعل ومنصوبه ، والشرط والجواب ، والحال وصاحبها ، والصفة والموصوف ، وحرف الجر ومتعلّقه ، والقسم وجوابه ، وتجد شواهدها في المغني وغيره .

(٤) الواقعة صلة للموصول الاسمي كقوله تعالى : « قد أفلح من تزكّى » فمن في موضع رفع ، والصلة لا محلّ لها » . او الحرفي كقوله سبحانه : « نخشى أن تصيبنا دائرة » والمراد بالموصول الحرفي : الحرف المصدري — وهو يؤول ما بعده بمصدر .

(٥) في الكتاب الكريم : « والقرآن الحكيم ، إنك لمن المرسلين » قال في المغني (٢/٥٤) : ومن أمثلة جواب القسم ما يخفى نحو : «أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة ؟ إنّ لكم لَمَا تحكمون » « وإذ أخذ الله —

وجواب الشرط [1] ، والتابعة لجملة لا محلّ لها [2] . والثاني [3] كالخبر [4] ،

— ميثاق بني اسرائيل ، لا تعبدون إلاّ الله » « واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم » وذلك لأنَّ أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف قاله كثيرون منهم الزجّاج ، ويوضحه : « وإذ أخذ الله ميثاق بني اسرائيل لتبيننّه للناس » وقال الكسائي والفرّاء ومَن وافقهما التقدير : بأن لا تعبدوا إلاّ الله ، وبأن لا تسفكوا ، ثم حذف الجارّ ، ثم (أن) فارتفع الفعل ، وجوّز الفرّاء أن يكون الأصل النهي ، ثم أخرج مُخرج الخبر ، ويؤيده : وقولوا ، وأقيموا وآتو .

(١) غير الجازم : « كإذا ، ولو ، ولولا » نحو : « ولولا دفعُ الله الناس بعضهم ببعض ، لفسَدت الأرض » . أو الجازم نحو : « إن تتعلم تتقدم ، ومهما أحسنت أثبت » أما الأول ، فلظهور الجزم في لفظ الفعل ، وأما الثاني فلأن المحكوم لموضعه بالجزم الفعل ، لا الجملة بأسرها .

(٢) نحو : « اذا نهضت الأمة ، بلغت من المجد الغاية ، وأدركت من الظفر النهاية » فجملة بلغت جواب شرط غير جازم وهو (اذا) فلا محلّ لها من الاعراب ، ومثلها جملة (أدركت) المعطوفة عليها .

(٣) أي القسم الثاني — وهو ما له محل من الاعراب .

(٤) ومحله الرفع إن كان خبراً للمبتدأ ، أو الأحرف المشبهة بالفعل ، أو لا النافية للجنس نحو : « العلم يرفع قدر صاحبه ، إن الفضيلة تعشق ، لا ظالم سيرته محمودة » والنصب إن كان خبراً عن فعل غير واقع ، أي غير متعدٍّ ، نحو : « أنفسَهم كانوا يظلمون » ونحو : « وما كادوا يفعلون » . وخبر « كان » عند الكوفيين والمفعول الثاني لـ « ظننت » يعربان (حالاً) .

والحال [١] ، والمفعول [٢] ، والمضاف اليه [٣] ، والشرطية الاسمية [٤] ، والتابعة لجملة لها محلّ [٥] ، أو لمفرد [٦] .

(١) نحو : « وجاءوا أباهم عشاء يبكون » .

(٢) نحو : «قال إني عبد الله» فجملة (اني عبد الله) في محل نصب مفعول به لقال .

(٣) نحو : « هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم » فيوم مضاف ، والجملة بعده مضاف اليه في محل جرّ ، والتقدير : هذا يومُ نفعِ الصادقين صدقهم .

(٤) الواقعة بعد الفاء أو إذا جواباً لشرط جازم ، مثال المقرونة بالفاء : « ومن يضلل الله فما له من هاد » فجملة « فما له من هاد » من المبتدأ والخبر في محل جزم جواب الشرط . والفاء المقدَّرة كالموجودة في مثل قوله : « من يفعل الحسنات الله يشكرها » ، ومثال المقرونة بإذا : « وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون » فجملة « إذا هم يقنطون » في محل جزم جواب الشرط أيضاً .

(٥) ومحلها بحسب المتبوع نحو : «العلم ينفع ويرفع » فجملة ينفع خبر المبتدأ ، ومحلها الرفع ، وما بعدها معطوفة عليها ، والمعطوف له حكم المعطوف عليه .

(٦) قال ابن هشام في المغني : ومن غريب هذا الباب قولك : « قلت لهم قوموا ، أوّلكم وآخركم » يعني بدل الجملة من الجملة ، لا المفرد من المفرد ، إذ المتبادر في المثال بدل المفرد ، وان لم يتسلط عامل الأول ، فيُغتفَر في التابع ما لا يغتفر في الأوائل . وقال الفرّاء ، في قراءة بعضهم : « فشربوا منه إلاّ قليل منهم » إن (قليل) مبتدأ حذف خبره : أي لم يشربوا .

وكلُّ جملة خبرية فضلة ، بعد نكرة محضة ، نعت [1] . وبعد معرفة محضة حال [2] . وبعد غير المحضة تحتملها [3] ، ما لم يتعين أحدهما [4] أو غيرهما بدليل [5] .

---

(١) في التنزيل : «حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه» ، «لِمَ تعظون قوماً اللهُ مُهلكهُم أو معذبهم» ، «من قبلِ أن يأتيَ يوم لا بيع فيه» فهذا هو النوع الأول ـ وهو الواقع صفة لا غير ، لوقوع الجمل الفعلية والاسمية بعد النكرات المحضة وهي «كتاباً» «قوماً» «يوم» .

(٢) نحو «لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى» وهـذا هو النوع الثاني ، وهو الواقع حالاً لا غير، لوقوع الجملة الاسمية بعد المعرفة المحضة ـ وهي «الصلاة» .

(٣) نحو : «وهذا ذكر مبارك أنزلناه» فلك أن تقدر جملة «أنزلناه» نعتاً للنكرة وهو ذكر ، وهو الظاهر ، ولك أن تقدرها حالاً منها ، لأنها قد تخصصت بالوصف «مبارك» وذلك يقربها من المعرفة ـ وهـذا هو النوع الثالث ، ومثال النوع الرابع وهو المحتمل لها بعد المعرفة : «وآية لهم الليل نسلخ منه النهار» فان المعرف بالجنسي يقرب في المعنى من النكرة ، فيصح تقدير «نسلخ» حالاً ، أو وصفاً .

(٤) نحو : «لولا كتاب من الله سبق» يتعين كون «سبق» نعتاً ثانياً ، لا حالاً من الكتاب ، لأن الابتداء لا يعمل في الحال ، ولا من الضمير المستتر في الخبر المحذوف لأن الحال لا يذكر بعد (لولا) كما لا يذكر الخبر .

(٥) نحو : «زارني زيد سأكافئه ، أو لن أنسى له ذلك» فان الجملة بعد المعرفة المحضة حال ، ولكن السين وان مانعان ، لأن الحالية لا تصدّر بدليل استقبال ، ويتعين حينئذ الاستئناف .

المحل : إن تعلق بفعل فمفعول فيه له (1) ، وإلاّ فيقع صفة ، وحالاً ، وخبراً ، ومبتدأ . ويعمل كالفعل ، وهو بعد المعرفة والنكرة كالجملة (2) ، ثم إنّ المحل إذا وقع خبراً وكان نكرة ، يرفع نحو : البرُّ يوم ، والصوم شهر ، وإلاّ فينصب على الخلاف ، ومثله الجار والمجرور (3) .

---

(1) نحو : « سرت يوماً ، وسريت ليلاً » .

(2) حكم المحل ـ ومثله الجار والمجرور بعد المعرفة والنكرة ـ حكم الجمل ، فهما صفتان في نحو : « رأيت طائراً فوق غصن ، أو على غصن » ، لأنهما بعد نكرة محضة ، وحالان في نحو : « رأيت الهلال بين السحاب » ، أو في الأفق ، لأنهما بعد معرفة محضة ، ومحتملان لها نحو : « يعجبني الزهر في أكمامه والثمر على أغصانه » ، لأن المعرف الجنسي كالنكرة ، وفي نحو : « هذا ثمر يانع على أغصانه » ، لأن النكرة الموصوفة كالمعرفة ، وخبران نحو : « زيد عندك أو في الدار » ، ومبتدآن نحو : « عندك زيد ، أفي الله شك » وهذه أمثلة لوقوع المحل صفة و و الخ .

(3) قال الكوفيون : الناصب أمر معنويٌ ـ وهو كونهما مخالفين للمبتدأ ، أي ان الخبر مخالف للمبتدأ معنى ، اذ معنى (العند) ليس هو (زيد) وهذه المخالفة المعنوية تعمل عندهم المخالفة اللفظية في الإعراب فتنصب الخبر .

هذا وقد اعتمدنا في ذكر الجملة وأقسامها وأحكامها ، وفي ذكر أحكام ما يشبه الجملة ـ وهو المحل والجار والمجرور على البابين الثاني والثالث من الجزء الثاني من كتاب المغني لابن هشام .

الخاتمة

في تبيان الفرق بين المذهبين البصري والكوفي

نختم هـذا الشرح بنقل نبذة مما ختم به الجلال السيوطي (— ٩١١ هـ) كتابه : « الاقتراح في علم النحو » المطبوع في حيدر آباد الدكن ـ الهند سنة ١٣١٠ قال رحمه الله تعالى :

« قال ابن جني ـ يعني في كتابه (الخصائص الذي طبع الجزء الأول منه بمصر ١٣٣١ هـ = ١٩١٣ م) الكوفيون علامون بأشعار العرب مطلعون عليها ، وقال أبو حيان ، في مسألة العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار ، الذي يُختار جوازه ، لوقوعه في كلام العرب كثيراً ، نظماً ونثراً . قال : ولسنا متعبدين باتباع مذهب البصريين ، بل نتبع الدليل ، وقال الأندلسي في شرح المفصل : الكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول ، جعلوه أصلاً وبوبوا عليه بخلاف البصريين .

ثم قال السيوطي : شرط المستنبط لشيء من مسائل هذا العلم ، المرتقي عن رتبة التقليد ، أن يكون عالماً بلغة العرب ، محيطاً بكلامها ، مطلعاً على نثرها ونظمها ، ويكفي في ذلك الآن الرجوع الى الكتب المؤلفة في اللغات والأبنية ، والى الدواوين الجامعة لأشعار العرب ، وان يكون خبيراً بصحة نسبة ذلك اليهم ، لئلا يدخل عليه شعر مولد أو مصنوع ، عالماً بأحوال الرواية ليعلم المقبول روايته من غيره ، وبإجماع النحاة كيلا يحدث قولاً زائداً فارقاً ، اذا قلنا بامتناع ذلك .

(وقال) لابن مالك في النحو طريقة سلكها بين طريقي البصريين والكوفيين ، فإن مذهب الكوفيين القياس على الشاذ ، ومذهب البصريين اتباع التأويلات البعيدة التي خالفها الظاهر ، وابن مالك يعلم بوقوع ذلك من غير حكم عليه

بقياس ولا تأويل ، بل يقول : إنه شاذ أو ضرورة ، كقوله في التمييز : والفعل ذو التصريف نزراً سُبقاً » وقوله في مد المقصور : « والعكس في الشعر يقع » . قال ابن هشام : وهذه الطريقة طريقة المحققين ، وهي أحسن الطريقين .

وختم السيوطي بحثه في المسألة الرابعة من الكتاب السابع الذي جعل مسائله في أحوال مستنبط هذا العلم ومستخرجه (وقد رتب مؤلفه هذا في أصول النحو على مقدمات وسبعة كتب) ناقلاً عن ابن جني في الخصائص قوله : إذا أداك القياس الى شيء ما ، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره فدع ما كنت عليه اهـ . وهذا يشبهه شيء من أصول الفقه : نقض الاجتهاد إذا بان النص بخلافه اهـ .

وقد وقفنا في تعليقاتنا هذه على آخر ما وجدناه في نسخة المؤلف رحمه الله من « الموفي في النحو الكوفي » وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

محمد بهجة البيطار

التعريف والنقد

معجم «شمس العلوم»

أهدى الينا الجزء الأول من هذا المعجم أحد أعضاء مجمعنا العلمي المستشرق (ك. و. سترستين) السويدي .

وليس هـذا المستشرق الفاضل بمجهول المكانة لدى قراء مجلة المجمع : فبالأمس أصدر المجمع في جملة مطبوعاته كتاب (طرفة الأصحاب في معرفة الانساب) بتحقيقه . وكتاب الطرفة هذا من تأليف أحد ملوك اليمن . ومن مواضع العجب أن يقوم العلامة (سترستين) اليوم فيهدي الينا المعجم بتحقيقه وهو أيضاً لأحد ملوك اليمن . واسم المعجم (شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم) واسم مؤلفه (نشوان بن سعيد الحميري) الذي ترجم له السيوطي في بغية الوعاة ونقل عن الخزرجي أنه كان معتزلياً ووصفوه بأنه (أوحد أهل عصره وأعلم أهل دهره) عالماً فقيهاً أديباً شاعراً عارفاً بالأصول والفروع وسائر فنون الأدب . وكتابه (شمس العلوم) في ثمانية أجزاء . اختصره ولده في جزئين وسماه (ضياء الحلوم [1]) وقيل إن المختصِر تلميذه (ابن نافع الحميري) لا ولده . وهناك مختصَر آخر لشمس العلوم اسمه «لوامع النجوم» غير معروف مؤلفه ، وهو لدى الأستاذ احمد عبد الغفور عطار بمكة وقد وصفه في مجلة الرسالة (عدد ٩١٨ صادر في ٥ فبراير سنة ١٩٥١) وان علم المؤلف نشوان وأدبه لم يشغله عن الطموح الى أعلى المراتب : فاستولى على قلاع وحصون في الجبل العظيم المطلّ

---

(١) توجد نسخة من هذا المختصر بمكتبة شيخ الاسلام بالمدينة كما أخبرنا احمد عبد الغفور عطار .

على (تعز) المسمّى بصَبِير (على وزان كتِف) . ولما رأى أهل تلك البلاد منه ما رأوا قدموه حتى صار ملكاً . وكانت وفاته سنة ٥٧٣ هـ .

والمستشرق (سترستين) إن كان جمع بين هذين الملكين اليمانيين بخدمة آثارهما ـ فقد جمع بين معجمين لغويين في نبشهما من مكامنهما . واحياء ذكرهما وهما معجم (شمس العلوم) المذكور الذي حققه ونشره اليوم ومعجم (تهذيب اللغة [1]) للأزهري الذي كان نبشه منذ ثلاثين سنة ونشر قسماً منه في مجلة (العالم الشرقي) التي تطبع في وطنه (أبسالا) وقد قال في مقدمته انه منذ سنة ١٩٠٤ م فكر في نشر ذلك الكتاب وتمكن بواسطة الدكتور ريتر المقيم في الأستانة من الحصول على فوتوغرافية الأوراق الأولى منه من نسخة محفوظة في مكتبة أياصوفيا كتبت سنة ١١٣٩هـ .

أما المعجم الجديد (شمس العلوم) فنسخه مبعثرة في الشرق والغرب : منها ما هو في مكاتب أوروبا ، ومنها ثلاث مجلدات في دار الكتب المصرية . ومجلدة في المكتبة الأحمدية بطنطا . وكانت لجنة جيب بليدن نشرت من نسخة لديها منتخبات في أخبار اليمن سنة ١٩١٦ م حتى كانت هذه السنة فعملت على طبع النسخة برمتها وأصدرت الجزء الأول بتحقيق العلامة سترستين في (٢٧٥) صفحة بقطع فوق المتوسط وورق ثخين متين . وحرف على قرمطته جميل واضح . هذا عدا ملاحقه التي تبلغ ٥٤ صفحة كتبها الناشر بالألمانية ، وضمنها استدراكات وملاحظات غاية في التعريف بهذا الكتاب وفي الفائدة لمن يعرف الألمانية .

وقد أخبرنا الأستاذ احمد عبد الغفور عطار أخيراً أن في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمة الله الحسيني بالمدينة المنورة نسخة كاملة من (شمس العلوم) ونسخة

(١) توجد نسخة كاملة من التهذيب الأزهري بخط ياقوت الرومي بمكتبة شيخ الاسلام بالمدينة كما أخبرنا بذلك ايضاً أحمد عبد الغفور عطار .

مثلها في مكتبة إمام اليمن وقد أرسلها أخيراً الى مفوضيته في القاهرة على نية طبعها . ولا نعلم إن كان طابعوها في مصر يبلغون بها من الضبط والتصحيح ما بلغته مطبوعة ليدن . فان فعلوا وجبروا ما في النسخة الليدنية من نقص : فأحسنوا حرف طبعتهم ، وكتبوا لها مقدمة فضفاضة باللغة العربية ، وعلقوا على بعض الكلمات المحتاجة الى التعليق ، وخصّوا الكلمات المراد تفسيرها بحرف ثخين أو بحرف واضح تميزه العين لأول النظر اليه ، وكذلك العناوين خصّوها بحروف مشرقة واضحة تسهّل للمراجع أمر المراجعة ، ونظموا لنسختهم فهارس للفصول والأبواب باللغة العربية ـ إن فعلوا ذلك يوشك أن يفيدوا ويستفيدوا . ولا سيما أن نسخ طبعة ليدن قد تكون قليلة العدد لما نعلم من عادة القوم في الاقتصار على نسخ معدودة مما يطبعون . مكتفين بقدر حاجتهم وحاجة معاهدهم .

أشرنا الى أن النسخة الليدنية ليس لهـا مقدمة ولا فهرس ولا ما يفيد التعريف بها باللغة العربية وانما افتتحت بمقدمتين للمؤلف احداهما حمد الله فيها ووصف الحاجة الى كتابه كما وصف طريقته فيه . وضبط كلماته . وإيراد فصوله . والثانية في فنّي التصريف والإبدال أودعها مسائل جمة وأمثلة عدة في منتهى الإمتاع للمشتغل بالعربية . وقد استغرقت المقدمتان ثلاثين صفحة .

وللمؤلف عناية بنظم الشعر ظهر أثرها على لسانه في مقدمته الأولى : فهو يقول في مطلع شعره متبجحاً مباهياً :

(كتابٌ يمانٍ يجمع العلمَ كله ويعجز عن مثلٍ له الثقلان)

وقال من قطعة أخرى :

(هذا الكتاب لكل علمٍ جامعٌ وله محلٌ في العلوم مُنيف)

ووصف المؤلف طريقته في معجمه من حيث أخلّ بذلك أرباب المعاجم . حتى وقع نساخها في التصحيف والتحريف . أما هو فقد تلافى هذا النقص

فيما التزمه بكتابه فهو : (يحرس كل كلمة بنقطها وشكلها . ويجعلها مع جنسها وشكلها . ويردها الى أصلها . جعلتُ فيه لكل حرفٍ من حروف المعجم كتاباً . ثم جعلت له ولكل حرفٍ معه من حروف المعجم باباً . ثم جعلتُ كل باب من تلك الأبواب شطرين : أسماء وأفعالاً . ثم جعلتُ لكل كلمةٍ من تلك الأسماء والأفعال وزناً ومثالاً : فحروف المعجم تحرس النقط . وتحفظ الخط . والأمثلة حارسة للحركات والشكل . ورادّة كل كلمة من بنائها الى الأصل . فكتابي هذا يحرس النقط والحركات جميعا . ويدرك الطالب فيه ملتمسَه سريعا . بلا كدّ مطية عزيزيّة [1] . ولا أتعاب خاطر ولا رويّة . ولا طلب شيخ يقرأ عليه . ولا مقيّد يُفتقر في ذلك اليه اه) .

وانا لذاكرون هنا مثالاً من طريقته في كتابه : فهو بعد البسملة والحمدلة وسرد المقدمتين قال (كتاب الهمزة) ـ باب الهمزة وما بعدها من الحروف ـ في المضاعف ـ (الأسماء) : فَعْل بفتح الفاء وسكون العين . (ب) : الأَبُّ المرعى قال الله تعالى : وفاكهةً وأبًّا قال الشاعر :

(جذُّنا قيسٌ ونجدٌ دارنا ولنا الأبُّ بها والمكرع)

فالمؤلف دلّ بقوله (فَعْل) على الاسم الثلاثي وبحرف (ب) على أن هذا الثلاثي آخره باء وكل ذلك في الكلمات المضاعفة كما أشار اليه في العنوان . وهكذا يمضي المؤلف على شاكلته هذه في كل ألفاظ معجمه . وهو لم يتتبع كلّ مواد اللغة وأفانين ألفاظها كما فعل اللسان مثلاً وانما اقتصر على الفصيح أو المألوف منها كما فعل الجوهري . ففي (باب التاء وبعدها نون) اكتفى بست كلمات . بينما هي في الكتب الكبرى ضعف ذلك العدد : فالنشوان

(١) قوله (مطيّة عزيزيّة) صوابه (غُريريّة) برائين مهملتين مصغراً . والغريريّات إبل منسوبة الى (غُرَيْر) وهو اسم فحل .

أهمل (تنّوط) اسم طائر (وتنّوب) اسم شجر وألفاظاً أخرى غريبة مثل (تنتل) و (تَنْتَنَ) وباليته ذكر لنا (التِناوة) كما ذكرها غيره لحاجتنا اليها . ومعناها أن يتعلم ثم يترك مدارسة العلم أو الفنّ الذي تعلمه ، فينساه على طول الزمن .

وقد رتب المؤلف كتابه على أوائل الحروف كما فعل صاحبا النهاية والمصباح . ولم يرتبه على أواخرها كما فعل صاحبا اللسان والقاموس . واذا علم القارئ أن الجزء الأول من (شمس العلوم) اشتمل على أربعة حروف وهي : (أ) (ب) (ت) (ث) أدرك ما سيكون عليه المعجم من عدد أجزاء . قالوا : ويمتاز هذا المعجم بأن مؤلفه يعلق على بعض الكلمات بما لا علاقة له بالمعنى اللغوي فيستطرد الى الأشياء العلمية والطبيعية ، فيذكر خصائص المعدن والحيوان والنبات : فالدجاج مثلاً لحمه معتدل في الحرارة والبرودة ، والذهب لا يبليه الثرى ولا تأكله النار ، والملكة الزبّاء كان من أمرها كيت وكيت ، وتُبّع الحميري كان من عظيم أعماله كذا وكذا الخ . ومن ثمّ أطلق بعضهم على معجمه اسم دائرة معارف لغوية .

ولا أظن أن ما ذكروه من هذه الاستطرادات ميزة يمتاز بها هذا المعجم ، فان صاحبي اللسان والقاموس لم يقصّرا في هذا المضمار . وعابوا صاحب القاموس بأنه كثيراً ما أطلق القول وترك الشرح والتفسير واكتفى بحرف (م) أي معروف . وهكذا رأينا النشوان في معجمه يفعل كما فعلوا . ويبني كما بنوا .

ونختم قولنا بكلمة شكر لمطبعة ليدن على نشرها هذا الكتاب كما نشكر لمحققه ومهديه العلامة (سترستين) جزاه الله خيراً ونفع بعلمه وفضله .

مطبوعات دار العروبة في باكستان

كانت تألفت في الهند منذ عشر سنوات جمعيــة باسم « الجماعة الاسلامية » لأجل الدعوة الى أمور ذات بال في مصلحة العالم الاسلامي وهي :

(١) الدعوة الى عبادة الله وحده وترك الشرك ·

(٢) دعوة المسلمين الى التمسك بتعاليم الاسلام وترك النفاق ·

(٣) دعوة العالم أجمع الى إحداث انقلاب في نظام الحياة العامة ينتزعون بواسطته السلطة من أيدي الطواغيت الفجرة الى أيدٍ مؤمنة بدين الحق ولا تريد فساداً في الأرض ·

وبعد بضع سنين أي منذ أربع سنوات أسست الجمعية المذكورة فرعاً لها في الباكستان (في بلدة راوالپندي) باسم (دار العروبة للدعوة الاسلاميــة) ووكلت أمر ادارة هذه الدار الى بطل من أبطال علماء الهند مشهور بعلمه وفضله وسعة اطلاعه موثوقٍ بدينه وعقله هو (الأستاذ المودودي) فقام هذا الفاضل بالعمل الموكول اليه خير قيام · وأخذ ينشر سلسلة رسائل صغيرة الحجم في شكلها لكنها كبيرة الأثر في فائدتها ونفعها · يكتبها بلغته الأوردية ثم تترجم الى اللغة العربية الفصحى ، وينشرها على القراء ، والنية معقودة على إصدار مجلة شهرية أيضاً باسم (الهدى) تشد عضد (سلسلة مطبوعات العروبة) في الدعوة الى الهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله · فالجماعة الاسلامية وفرعهـا دار العروبة انما خطتها الدعوة الى الدين الاسلامي والتبشير بيسره وسماحتـه وسهولة مقادته في سبيل النهوض بالبشر الى مراقي السعادة والعدل والخير العام وقد وصل الى مجمعنا العلمي أخيراً بضع رسائل من تلك السلسلة ·

فالأولى (ذات الرقم ٤) عنوانها (الاسلام والجاهلية) بسط فيهـا الأستاذ المودودي الكلام حول المسائل الأساسية لكل مجتمع بشري ووصف تعقيدها

وتداخل بعضها في بعض حتى جاء الاسلام فحل عقدتها . وكشف عن علتها . وعالجها أكمل علاج . فالمغيبات والإلهيات ثم الاقتصاديات والاجتماعيات كل هذه المعضلات أوضح الاسلام حقائقها . وشخص أمراضها . وأمر بمداواتها من أقرب الطرق . وعلى أيسر السبل .

(والثانية) (ذات الرقم ٥) بعنوان (معضلات الاقتصاد) تناول فيها المسائل الاقتصادية من مشاكل المجتمع وأسهب في وصف الطرائق التي أشار بها الاسلام ومهّد السبيل الى حلّها .

(والثالثة) (ذات الرقم ٦) بعنوان (شهادة الحق) أهم ما في هذه الرسالة معالجة مشكلة غير المسلمين الذين يعيشون في بلاد الاسلام ويشاركونهم في حياتهم الاجتماعية ولا سيما الأقليات في بلاد الهند . ووصف كيف أن هذه الأقليات أَمِرَ أمرها . وعلا شأنها . حتى تفوّقت على الأكثرية المسلمة . وقد حمل تبعة هذا على عاتق المسلمين وان السبب فيه تفريط أمرائهم وتهاونهم في القيام بأوامر الاسلام وشهادة الحق .

فهذه الرسائل وأخواتها التي أُلّفت على نسقها ترمي الى إيقاظ المسلمين والنصح لهم بالعمل وترك التهاون والكسل . فالشكر للمؤلف الفاضل على حسن صنيعه كما نرجو له حسن الثواب .

اصطلاحات عربية لفن التصوير

عنوان محاضرة ألقاها الأستاذ بشر فارس في المجمع العلمي المصري سنة ١٩٤٨م ثم طبعت في كراسة على حدة في مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقيـة . وقد تتبع المحاضر في بحثه هذا ألفاظاً كثيرة مما يستعمله أرباب فن التصوير أو يجدر ان يقتبسوه ويستعملوه في صناعتهم ، ونظم فهرساً للاصطلاحات أودعه الألفاظ العربية ، وما يقابلها بالفرنسية وسماه « مسرداً » (Index) من سرد الحديث اذا أجاد في سوقه . وتنسيق أجزائه . ومن هذه المصطلحات ما هو له ، وبعضها لغيره . وهناك طائفة من المصطلحات نقلها عن مجلة مجمع فؤاد الأول اللغوي المصري . وقد ميّـز أنواع هذه المصطلحات بعلامات خاصة وضعها أمامها ثم أفاض في ايضاح هذه المصطلحات والاحتجاج لها مما لا يفهم المراد منه غالباً الا المشتغلون بفن التصوير الذين نُشر هذا البحث من أجل فائدتهم . فلا غرو اذا اقتنوه واتفقوا على مداولة هذه المصطلحات بينهم . فليتفقوا إذن وليشكروا ـ كما نشكر ـ الأستاذ بشر صنيعه وخدمته للثقافة الفنية العربية .

المغربي

النقد واللغة

في رسالة الغفران

الدكتور أمجد الطرابلسي : أستاذ بكلية الآداب في الجامعة السورية

لقد شعرت وأنا أطالع كتاب النقد واللغة في رسالة الغفران للدكتور أمجد الطرابلسي بأني أطالع كتاباً أدرك صاحبه روح الأستاذية وأسرارها ، وما وسعني بعد هذا الشعور الا المبادرة الى مؤلفه والثناء عليه ، فمن مظاهر هذه الروح التي أشرت اليها الاقتصار على توضيح ناحية معينة من نواحي شاعر من الشعراء أو كاتب من الكتّاب أو أديب من الأدباء حتى تظهر هذه الناحية في أبين

مظاهرها ولقد اقتصر الدكتور أمجد الطرابلسي في كتابه : النقد واللغة في رسالة الغفران على ناحية من نواحي أبي العلاء المعري في رسالة الغفران وهي ناحية شخصيته الثقافية فتصدّى في كتابه لهذه الشخصية فتكلم على تمكن المعري من فنون الأدب وعلوم اللغة وعلى نقده الذي كثرت فيه أدوات النقد كلها ولا سيما نشاط الفكر والذكاء .

ولكنّ هذا التصدّي لشخصية المعري الثقافية لم يمنع الأستاذ المؤلف من أن يغوص على تهكم المعري في رسالة الغفران ويدلّ على لطف هذا التهكم أو عنفه ، والخلاصة كان أبعد جهد المؤلف أن يكشف عن مدى عناية المعري بالنقد الأدبي والدراسات اللغوية في رسالة الغفران ولقد كشف عن هذه العناية أدقّ كشف حتى استطعنا أن نعيش في ظلال العصر الذي عاش فيه حكيم المعرة وأديبها ولغويها الأكبر على نحو رغبة الأستاذ المؤلف ومراده .

يشتمل كتاب النقد واللغة في رسالة الغفران على ثلاثة أبواب اجتهد صاحبه في الباب الأول منها في أن يرينا المعري عالماً ومعلماً واجتهد في الباب الثاني في أن يرينا إياه ناقداً أديباً وحرص في الباب الثالث على أن نراه عالماً لغوياً .

ولئن كان يتعذر تفصيل الكلام على كل باب من هـذه الابواب الثلاثة فلا يتعذر ان نقول ان كل باب منها قد صوّر المعري في حقيقة صورته فاذا أراد المؤلف أن يعرض علينا المعري في معرض عالم لغوي اندفع في الاستشهاد بالمؤرخين الذين شهدوا له بهذا العلم وأجمعوا على الشهادة به ثم خاض في الكلام على تعليم المعري اللغة والنحو ثم وصف تصانيفه في علوم العربية ثم استنبط شخصيته اللغوية من خلال أسلوبه وتصانيفه الفنية ثم درج بنا الى أفق من الآفاق شهدنا فيه اعتزاز أبي العلاء بثقافته اللغوية ولقد سلك الأستاذ المؤلف في هذا كله مسالك أساتذة الجامعات واذا جاز لي أن أشبهه بعالم من علماء الكيمياء

على تباعد ما بين الأدب والكيمياء قلت فيه ان مثله في هذا الباب من كتابه وفي الأبواب كلها كمثل عالم من علماء الكيمياء دخل مخبره وأخذ جسماً من الأجسام ففكّك عناصره أحذق تفكيك وحلّل أجزاءه أدقّ تحليل حتى تجلّت خصائص هذا الجسم فخيّل الينا انا نراها بأعيننا ونلمسها بأيدينا ونشمّ رائحتها بآنافنا ، هكذا فعل الدكتور أمجد الطرابلسي في تحليل شخصية المعري من نواحي لغته ونقده حتى يكاد القارئ يفرغ من كتاب الأستاذ وهو يقول: هل غادر صاحبه من متردَّم !

لم يغفل الأستاذ المؤلف في مجامع هذا التفكيك والتحليل عن الاستشهاد بكلام المعري نفسه ، وقد تعمّد الإكثار من هذا الكلام لسببين وضّحهما في كتابه أولهما :

« ان نتائج البحوث الأدبية تكون أدعى للثقة والاطمئنان كلما كثرت النصوص التي تستمد هذه البحوث نتائجها منها .

وثانيهما : رغبتي في أن تكثر ممارسة الطلاّب لمثل هذه النصوص ، لأن الميل الأدبي الحقيقي انما يتكوّن في نفس الطالب عندما تربط بينه وبين كنوز أدبنا القديم روابط الألفة الصحيحة » .

لما قلت في أول هذا التقريظ ان الدكتور أمجد الطرابلسي قد أدرك روح الأستاذية وأسرارها لم أجازف بقولي فان هذا المنهج الذي نهجه أصبح أرشد المناهج وأصلحها فلا يجوز أن يدرّس الأدب مجرّداً فان الإتيان بنص أدبي في خلال كلامنا على شاعر أو على كاتب يقرن النظر بالعمل من جهة ويؤيّد الأواصر بيننا وبين كنوزنا القديمة من جهة ثانية فنزداد أنساً بها وادراكاً لمحاسنها ، ولا يُعمد الى النص في تدريس الأدب وحده فان تدريس النحو نفسه لا يستغني فيه عن الاستعانة بنصٍ تدخل في كلامه القواعد التي يدرّسها الأستاذ

ويفصّلها ، فان هذا الأسلوب من التدريس يقرّب النحو من الأفهام بحيث اذا مرّ الطالب بنصّ تدخل في كلامه القواعد التي يبسطها الأستاذ سهلت هذه القواعد على الفكر فثبتت في الذهن على الأيام .

وجملة القول انا نهنئ الدكتور أمجد الطرابلسي بكتابه النقد واللغة في رسالة الغفران ، الذي استفاضت في أضعاف سطوره دقة العلماء في التحليل ومهارة الأدباء في التعبير وبراعة أساتذة الجامعات في ترتيب البحث واتقانه .

الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلي

تأليف عبد العزيز مزروع الأزهري

اذا اردنا أن نعرف موضوع هذا الكتاب فحسبنا أن نطلع على نَبْذٍ من تمهيده ، قال المؤلف في صدر هذا التمهيد :

« قد استخرت الله واياه استعنت فوفقني الى « نظريتي » لتحديد أزمان الجاهلية العربية فأمكن أن أعيّن قبل الهجرة تاريخ أي شاعر أو خطيب أو حادث أو يوم من أيامهم الكثيرة ... معتمداً في تحديد تلك الأزمان على « شجرات الأنساب » و « عمر الجيل » و « دليل الصحابة » الى (عدنان) عند قبائل ربيعة أو مضر الى « قحطان » عند قبائل كهلان أو حمير مستأنساً « بأجيال المشيرة » و (دليل المعاصرة) فاذا أمكن بعد هذه الدعائم ان نجد صلة لذلك الشاعر مثلاً (بدليل السجلات الملكية) للفرس أو المناذرة أو الروم كان في ذلك أقرب ما نريد من الدقة لتحديد علاقته بدورة الفلك وتعيين تاريخه قبل الهجرة أو بعد الميلاد وتعمقه في الجاهلية » .

هذا هو موضوع كتاب : الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلي والذي يقف النظر عليه لأول وهلة في هذا الكتاب انما هو اعجاب مؤلفه به فالعنوان وحده : الأسس المبتكرة دليل على هذا الإعجاب وقد مضت للأستاذ صاحبه

عبارات شتى في هذا المعنى فانه بعد أن دلّ على ان عمر الجيل الملكي هو ٣و١٥ قال :

« لم يسبقني الى هذا الكشف وهذا التحديد أحد من الباحثين قديماً أو حديثاً غربيّاً أو شرقيّاً فيما أعلم » .

وبعد أن فرغ من تشجير القبائل وتسجيل أنسابها قال :

« وهو أول عمل من نوعه في التاريخ لم يسبقني اليه أحد الا ما كان من محاولات جزئية » .

وقال في كلامه على النقوش :

« وفي هذا التفاهم العجيب بين منطق النقوش ومنطق التحديد الذي اخترته لمتوسط عمر الجيل ما يدل على متانة نظريتي مع أنها لم تستعمل من قواعدها الخمس الا قاعدة النسب وقاعدة المعاصرة » .

كل هذا يدل على اعجاب المؤلف بكتابه وشدة ثقته برأيه ولا نشك في ان الأستاذ الفاضل صاحب هذا الكتاب يعلم علم اليقين ان من أكبر صفات العلماء فناء شخصياتهم في العلم ، فان العالم اذا اخترع مذهباً من المذاهب أو اهتدى الى رأي من الآراء نسي شخصيته أو أذاب هذه الشخصية في المذهب المخترع أو الرأي المهتدى اليه لفرحه بهذا الاختراع وهذا الاهتداء .

على انه ليس في الدنيا شيء ثابت ، فالحياة كلها ، المادية منها والمعنوية في استحالات كثيرة ، فما نبتكره اليوم من الأسس قد يبطله المستقبل وما قولنا في مبتكرات لم تثبت أسسها بعد ولا جادلنا فيها المجادلون .

ليس من الانصاف في شيء أن ننكر فضل المؤلف في حشد الذهن وجمع الفكر للوصول الى ما وصل اليه غير انا نرى ان من جملة الأمور التي تعين على دراسة الأدب الجاهلي أو أدب العرب قبل الاسلام على الإطلاق الوقوف على نشأة اللغة العربية أي على ميلادها ونموها واستحالاتها ، وعلى مسايرتها في هذه الاستحالات كما يساير علماء الطبيعة نوعاً من أنواع الجماد أو النبات أو الحيوان

في مجامع أطواره ، ونظن ان هذه الأمور كلها غير كافية فلا بدّ من دراسة لهجات القبائل كلها ودراسة صلة اللغة العربية باللغات السامية بأجمعها ، وقد تضاف الى هذه الدراسات الآثار أو النقوش التي يهتدي اليها المهتدون لتلقي ضياءً على دراساتهم .

لقد نقل المؤلف الفاضل كلاماً عن ابن خلدون على اختلاف لغة العاربة والمستعربة وهذا نصه :

« يقول علماء اللغات ان بينهما فروقاً كثيرة في الإعراب وفي الضمائر وفي كثير من أحوال الاشتقاق والتصريف وانهما تختلفان اختلافاً جوهرياً ويشتد هذا الاختلاف في المفردات نفسها وأوجه الشبه والاتفاق أقل جداً من أوجه الخلاف» .

فاذا كنا لا نطلع على هذه الفروق في الاعراب وفي الضمائر وفي كثير من أحوال الاشتقاق والتصريف واذا كنا لا نعرف اختلاف لغتي العاربة والمستعربة في المفردات نفسها فلا يكون شعورنا بهذه الفروق وبهذا الاختلاف قوياً .

ان علماء الكيمياء في هذا العصر اذا درّسوا جسماً من الأجسام فانهم لا يكتفون بوصف هذا الجسم وبيان خصائصه وانما يعرضون ما يمكن عرضه من الأجسام على الأنظار حتى تراه العين فالواجب على علماء اللغة ان يعرضوا على أنظارنا الفروق التي يشيرون اليها بين لغتين من اللغات وأما مجرد القول فليس فيه مقنع .

فالباحث الذي يتصدى لدراسة الأدب الجاهلي وتحديده اذا كان واقفاً على كل ما ذكرت كان إثباته لمذهبه أقوى ، وقد فطن الأستاذ صاحب كتاب : الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلي الى ما أشرت اليه أو الى مايقرب منه فقال :

« الواجب علينا نحن العرب بعد الآن حكومات وهيئات أن نتعاون لبحث هذا التراث الدفين والمجد المطمور وذلك لا يكون الا بأمرين :

الأول : ان نرسل بالبعوث العلمية الى جامعات الغرب ليتلقى أبناؤنا دروساً مختلفة في كل اللغات الشرقية الأثرية ....

الثاني : ان يرسل الخريجون ... الى بلاد اليمن والحجاز وفلسطين والشام والعراق وبقية البقاع الأثرية في الجزيرة العربية فينفضوا أرضها حجراً بعد حجر ومخفداً بعد مخفد ومخلافاً بعد مخلاف وقطراً بعد قطر ...»

بعد هذا النوع من العمل نستطيع أن نبتكر أسساً لدراسة الأدب الجاهلي لأن ابتكارنا حينئذٍ يكون خيراً وأبقى .

في علم السكان

الدكتور عبد الكريم اليافي (أستاذ بالجامعة السورية)

قد يظن القارئ لأول وهلة أن علم السكان انما هو علم من خصائصه بعض القساوة ولكنه اذا قلّب النظر في كتاب الدكتور عبد الكريم اليافي وأحاط بالمجتمع البشري فرأى كيف يزيد السكان وينقصون وكيف يولدون ويموتون وكيف يقيمون ويهجرون شعر في هذا كله بلذّة لئن لم تكن مثل لذّة الشعر فانها قريبة منها ، فاذا نظرنا مثلاً الى حياة «الاسكيمو» في الصيف والشتاء أدركنا هذه اللذّة ففي الصيف يقتصرون على العبادة واحتفالات الولادة والموت ويتجنبون بعض النواحي وفي الشتاء تحتدم عاطفتهم الدينية فيتساقطون القصص والأساطير وكأنّ الشتاء كله عيد عندهم تطاول أمده .

هذا العلم الذي سماه الأستاذ المؤلف : علم السكان يكاد يكون ألصق العلوم بنا لأنه يتصل بأكثر نواحي الاجتماع وعُضَله ، من هذه النواحي آثار ازدياد السكان والعوامل المؤثرة في السكان والجنسان الذكور والإناث والأعمار والولادات وحركة المواليد والعوامل الاقتصادية والزواج والوفيات والأجل المتوسط وتجدّد الأجيال والهجرة وغير ذلك من المباحث .

من فضائل الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي في كتابه انه اذا عرض لموضوعٍ من هذه الموضوعات التي يحتوي عليها علم السكان وذكر آراء عالم

من علماء الغرب فيه فتش عن عالم من علماء العرب خاض في هـذا الموضوع فإنه لما بحث عن زيادة السكان لم يغفل عن الاشارة الى رأي ابن خلدون في مثل هذا المبحث ، فلما استشهد بفصل ابن خلدون وهو : تفاضل الأمصار والمدن في كثرة الرزق لأهلها انما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة قابل بين رأي ابن خلدون في هذا المعنى وبين رأي عالم اجتماعي آخر وهو : دركايم .

ولم يكتف الأستاذ بهذه المقابلات وحدها فانه لا يبحث في كتابه مبحثاً من المباحث الاّ قابل بين الأمم وبين العرب من هذا القبيل كلامه على كثرة مواليد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام وعلى قلة مواليدهم بعد الفتوح والمغازي أو كلامه على كثرة النسل في الأمم والعرب .

وقد يسلك الأستاذ المؤلف في بعض المقابلات أرشد المسالك فيلجأ الى اللغة فيستنطقها ويستفهمها ويستوضحها لأنها عنوان كثير من أخلاقنا وعاداتنا وطبائعنا وعواطفنا وما شابه ذلك مثل لجوئه الى تفسير الألفاظ العربية الدالة على المرأة اذا كثر ولدها أو قل .

ثم يتوسع في ذلك فيستعين بأعاظم العرب على توضيح فكرة من الفكر الاجتماعية كما استعان بالجاحظ وغيره من أدباء العرب وشعرائهم على الاشارة الى كثرة الولد أو قلتهم واذا دلّ هذا النمط من البحث على شيء فانه يدل على انقطاع صاحبه الى العلم والأدب وعلى إكثاره من قراءة الكتب حتى حصل له من ذلك ذوق أدبي تظهر فيه قوة البيان ونضج التعبير ولعلّ المقطع الآتي من كلامه يبيّن لنا هذه القوة وهذا النضج ، فانه لما تكلم على أحد العوامل المؤثرة في السكان وهو العامل النفسي قال :

« نرى أن البنين زينة الحياة الدنيا وعنصر من عناصر السعادة وينبوع من ينابيع الجذل في الأسرة ، هم أفلاذ الأكباد والقلوب الماشية على الأرض ، بل ثمة شيء آخر ذو شأن وهو أن الأولاد عتاد للآباء وذخر لهم في حلبة العيش

وعون لهم على صروف الحياة ولا سيما في الأرياف إذ لا يلبث الصغار أن يكبروا ويغدوا شابات وشباناً فيخففوا عن أهليهم مصاعب الكدح ومتاعب الجهد ويكفوهم أمورهم وحاجاتهم اذا مالت بهم كفة العمر ، ومن يعيل الشيخ الفاني ويحنو على الهِمّ المقعد الا أبناؤه يكلؤون شيخوخته بشيء من الرفق والحدب كما كلأ من قبلُ صباهم وطفولتهم ·

هذا طراز من بيان الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي في كتابه : « في علم السكان » ، أفلا يحق لكلية الآداب أن تفخر بأساتذة بيانهم من هذا الطراز ·

ولقد وجد الأستاذ في العلم الذي درّسه بمثل بهذا البيان حلاً لقضية من قضايانا التي تشغل العرب كلهم في هذه الأيام وأعني بها قضية الصهيونيين فانه قال في بحثه عن ازدياد السكان والهجرة وتجدد الأجيال : اذا استطاعت سورية أن تخفض نسبة الوفيات فيها وأن تمنع الهجرة منها بلغ عدد سكانها بعد قرن مائة مليون وسبعة عشر مليوناً واذا ـ لا سمح الله ـ بقيت نسبة الوفيات فيها وفي بلاد العرب على حالها واستطاع اليهود أن يرفعوا نسبة مواليدهم بلغ عددهم بعد قرن تسعة وثلاثين مليوناً وما وسعه بعد هذا الخطر الذي كشفه كشفاً رياضياً الا أن يقول :

« فلينتبه المسؤولون وليتشوّفوا بألمح أبصارهم نحو الأجيال المقبلة وليعرفوا كيف يمهدون لها الحياة ويدعمون بنيانها فهي أقوى الأسلحة لكيد أعدائهم وليعملوا بعد أن يعلموا وقبل فوات الوقت ، والعقبى للعاملين العاملين » ·

أظن أن كتاباً مثل كتاب الدكتور عبد الكريم اليافي : في علم السكان انما هو كنز من كنوز مكتبتنا في هذا العصر ·

شفيق جبري

تاريخ الأزمنة

للبطريرك اسطفانوس الدويهي

نشر هذا الكتاب «على أصوله للمرة الأولى وعلق عليه بالحواشي والفهارس الأب افردينان توتل اليسوعي» وطبعته المطبعة الكاثوليكية ببيروت فجاء على غرار مطبوعاتها دقةً وترتيباً وحسن طبع .

يقع الكتاب مع فهارسه في أربع مئة صفحة وتزيد . ويتناول الحوادث العالمية عامة وباختصار ، وما خص الديار الشامية : سورية ولبنان وفلسطين بشيء من التفصيل ، ولا سيما حوادث لبنان وخاصة ما تعلق منها بالطائفة المارونية . وذلك في ست مئة سنة . من سنة ١٠٥٩ م ٤٨٨ هـ – ١٦٩٩ م ١١١١ هـ .

قدم الناشر الكتاب بتوطئة ترجم فيها للمؤلف : ذكر موطنه ومولده ودراسته وسيرته . ثم وصف الكتاب ومصادره ونسخه ، وقد يكون غالى في التنويه بقيمة الكتاب ، مغالاة لا يؤيدها الكتاب نفسه تأييداً كبيراً .

بدأ المؤلف تاريخه بالحروب الصليبية ، وهي حروب علي ما قال بين : «ملوك النصارى ضد جيوش الاسلام» وقد كان ـ وهو رئيس روحي ـ في كثير مما ذكره ، بعيداً عن التطرف ، معتدلاً منصفاً . كما كان في تاريخ ملته ، وذكر رؤسائها ، صريحاً جريئاً ، وهو ما يقل أن يقع مثله في زمننا هـذا : زمن الحرية والصراحة ! ..

ولغة الكتاب عامية ، إلا في بعض ما نقله عن غيره بحرفه . وهو يعتمد التاريخ الميلادي ويضع الى جانبه التاريخ الهجري ، يعززهما أحيانا بالتاريخ اليوناني وتاريخ الشهداء وتاريخ الخليفة .

وتظهر في طيات الكتاب عروبة اللبنانيين عامة والمارونيين منهم خاصة بما يذكره من خصائصهم العربية المحضة ، من أسماء وكنى وألقاب ـ ولا سيما المشهورين من قبائلهم ـ ومن انقسامهم قيسية ويمنيــة ـ وهي الحزبية التي رافقت العرب ولازمتهم في حلهم وترحالهم ، ومن معاملاتهم الدينيــة والزمنية ، فقد جاء في حوادث سنة ١٥٧٧ ان البابا : «أمر ان مجمع ترنتس وتعليمه الكهنة ينقل الى لغة العربية حتى ينطبع فيها ويراسل الى بلاد الشرق» .

ويقص المؤلف في كتابه من الحوادث ما يدل على ما يفعله الايمان في نفوس أصحابه . من ذلك ان الملائكة : «حملت بيت السيدة من الناصرة الى لورات في بلاد النصارى» ! .. » وان «أمر عجيب في ذخيرة القديس بيشوى بعد ما خلّى الحبس كم مرة ينقلوها (اي الذخيرة) الى دير مارى انطانيوس ومن ذاتها ترجع الى موضعها .. » ومثل ذلك ما جرى لذخيرة عرجز نقلوها الى ايطو فعادت من ذات نفسها حتى اضطروا أخيراً ان وضعوها بحائط كنيسة عرجز وسطموا عليها ... » وان الناس اجتمعوا بعد مقتل المقدم بنيامين صاحب حردين ليختاروا خلفاً له : «فنطق طفلاً مرضع ان يقيموا نقولا مقدماً ! .. »

وتدل كثير من الواقعات التي يسردها المؤلف على ما كان عليه امراء لبنان المسلمون من تساهل وتسامح مع جيرانهم واخوانهم المسيحيين ، مما لا تجد له مثيلاً اليوم في الدول المسيحية ، فضلاً عن أن يكون عندهم مثله في تلك القرون المظلمة ، حتى في معاملة بعضهم بعضاً ، وان كان الناشر قد أشار في مقدمته الى غير ذلك .

وشيء آخر يؤخذ على الناشر أنه أبقى كثيراً من الأعلام على خطأ النساخ فيها ، لا هو أصلحها ، ولا أشار في الحاشية الى وجه الصواب فيها .

وتوسع في بعض العناوين . فجعل بوناً بينها وبين ما وضعت له . فهو مثلاً

في حوادث سنة ١٢٥٢ م = ٦٥٠ ه وضع هـذا العنوان : « مصر للمعز . والشام للناصر . والغرب لجمال الدين » وهو عنوان يوهم أن هؤلاء الثلاثة ، قسموا بينهم هذه الديار الثلاث . فاذا انتهيت من العنوان الذي وضعه الناشر ، الى ما كتبه المؤلف ، رأيته يقول : « في سنة الف ومايتين وخمسين مسيحية تحرر الاتفاق بأن لصاحب مصر تكون الأمصار المصرية الى نهر الأردن . وللناصر صاحب دمشق الأمصار الشامية ما ورآء نهر الأردن الى الفرات ، وفيها كتب الملك الناصر الى جمال الدين الكبير حجي بن نجم الدين . . . التنوخي بأن يكون متواليًا على القري : عرامون الغرب ، وعند رفائيل ، وطردل ، وعينكسور ، ورمضون ، وقدرون ، ومرتفون ، والصباحية ، ومسرحمور ، وعيناب ، وعين عنوب ، والدوير[1] » .

وعرمون ، ومسرحمور ، وعينكسور ، وعيناب ، وعين عنوب ، قرى صغيرة . وعين درافيل مزرعة . وما بقي فأسماء أماكن لعقارات محدودة ، اذا صح وكان فيها مساكن على عهد التنوخيين ، فلا تزيد على ان تكون مزارع صغيرة ، ومن عرف هذه القرى والمزارع والمواضع ، معرفتنا بها ، أضحكه أن يجعل صاحبها الأمير جمال الدين الكبير ، ندًا للمعز صاحب مصر ، وللناصر صاحب

(١) قلنا : الصواب : عرمون لا عرامون . وطردلا ، لا طردل . ورمطون ، لا رمضون . أما « سرحمور » فمنهم من يكتبها بالسين كما وردت ، ومنهم من يكتبها بالصاد صرحمور . والاكثرون يجعلون بدل الراء الأخيرة لامًا ، فيقولون سرحمول أو صرحمول على لفظها الى يومنا هذا . وأما « عندرافيل » على ماتلفظ ، وتكتب أحيانًا ، فقد يكون صوابها « عين درافيل » على ما جاءت في تاريخ بيروت لصالح بن يحيي . وروايته فيها يعتمد عليها لأن « عين درافيل » مزرعة كانت من أملاك التنوخيين وصالح بن يحيى منهم . ولعل أصلها « عين الدرافيل » والدرافيل جمع درفيل وهو الدرفين بلغة العامة .

أما رفائيل على ما أوردها الدويهي فلم تسمع سوآء ، أأضيفت الى « عين » او « عند » .

الشام ، فيقتسم واياهما القطرين : مصر والشام ، ويرضى معها ومنهما بهذه القسمة الضيزى ! .. ولكن المؤرخ بروايته الصادقة المتواضعة : « وفيها كتب الملك الناصر الى جمال الدين .. بأنه يكون متواليًا على القرى ... » بنفي العنوان الضخم الذي تعمد الناشر ان يجعل معه من الأمير جمال الدين ـ على فضله ومزاياه ـ نداً للمعز وللناصر .

ونرى من حق التاريخ اللبناني ان نترحم على المؤلف ، وان نشكر للناشر ما كان من جميل صنعهما في وضع هـذا التاريخ المفيد ، وفي اخراجه هذا المخرج الحسن .

مفهوم الدولة

للدكتور في الحقوق مصطفى البارودي

هذا الكتاب مجموعة محاضرات في مبادئ الحقوق العامة ، ألقاها صاحبها على الطلاب في كلية الحقوق بدمشق . والكتاب موجز في موضوعه ، يقع في مئتين واثنتين وأربعين صفحة .

عرّف الأستاذ في مقدمة كتابه ، الحقوق ، وذكر تقسيمها ، وأشار الى مبادئ الحقوق العامة ، والآراء المختلفة فيها . وانتقل الى الباب الاول وموضوعه : « مفهوم الدولة في نظر المفكرين السياسيين على مر العصور » وجعل هذا الباب ـ وهو الباب الوحيد في الكتاب ـ فصولاً ، ففي الفصل الأول بسط بعض آراء أفلاطون وأرسطو في الدولة . وفي الفصل الثاني بحث في الرواقية والنصرانية والاسلام ، ومذاهب أصحابها في الدولة والحكم . وفي الفصل الثالث تحدث عن (الدولة — الأمة) وآراء المحدثين فيها : مكيافل ، وبودان ، وهوبس ، ولوك ، ومونتسكيو ، وروسو .

وقد وُفـِّق الأستاذ في اختيار موضوعات كتابه ، ووُفـِّق في تنسيقها متسلسلة عصراً فعصراً ، وفي ترجمتها وعرضها بثوب عربي الحوك ، ناصع الديباجة ، لولا بعض تعبيرات وكلمات بالغ في التقيد بأصلها فنقلها نقلاً حرفياً ، كما انه في بسط آراء هؤلاء المفكرين الذين بسط آراءهم ، قيد نفسه برأي فرد ، هو رأي أستاذه (شفاليه) الذي أهدى اليه كتابه هذا .

كذلك يؤخذ على السيد البارودي انه يعرض الآراء التي أودعها كتابه ، عرضاً مجرداً عن رأي شخصي يرجّح بينها ، وعن نظر خاص يتصل بالقضية السورية خاصة ، او بالمصلحة العربية عامة . من ذلك انه مرّ بمبحث دين الدولة من غير أن يكون له فيه رأي يبديه . وقد كان هذا الموضوع : موضوع الساعة ، في عامه الدراسي الذي ألقى فيه محاضراته . ومثل ذلك ما يذكره عن حالات الأمم والشعوب ، وما وقع لها من شقاء وتفرقة ، جرّا الى الاستعباد . يذكره من غير تعليق ، ولا استنتاج عظة واعتبار . وهذا كله يجعل كتابه الى الترجمة أقرب منه الى التأليف .

وقد تكون بعض هذه المحاضرات دينية أكثر منها قانونية ، فليس من بأس أن يؤتى بشواهد دينية أو شرعية لتوكيد رأي قانوني . أما ان يجعل الدين مدار البحث ، والدعامة التي يقوم عليها القانون ، فهذا بالموضوع الديني ألصق ، وما أظن الأستاذ اليه قصد ، ومن أجله وضع كتابه .

وأراد الدكتور أن يقابل بين النصرانية والاسلام ، فقابل بين الاسلام والنصارى ، وليس الدين ومنتحلوه في كثير من الأحيان شيئاً واحداً . فالمقابلة بين دين ، وأصحاب دين آخر ، مقابلة غير دقيقة .

وكان خليقاً بالأستاذ أن يرجع ــ في جملة ما رجع اليه من آراء ــ في الاجتماع وقيام الدول ــ الى ابن خلدون فان له في هذا الميدان رأياً لا يقل عن آراء من استُشهِد بأقوالهم من المفكرين .

والكتاب على ما قلنا ، صحيح الديباجة . غير أن الأستاذ على حرصه على اللغة وعنايته بها ، وقعت له بعض أشياء نريد أن نلفت نظره اليها ، فاذا هو وافقنا فيها ، استدركها في طبعة جديدة . من ذلك ، استعماله : شكّل ومشتقاتها .

وترجمته intérêt بـ (الصالح) وصوابها المصلحة . ولعل هذا الخطأ جاء من تكرار هذه الترجمة ومن معجم (بالوت Belot) الفرنسي العربي .

والصدفة والصدف . والصواب : المصادفة والمصادفات .

والضمانة : وصوابها الضمان .

ونضوج : والصواب نضج بالضم وبالفتح .

الى أمثال هذه الألفاظ .

بقيت لنا كلمة في اسم الكتاب « مفهوم الدولة » وهو استعمال يصح على تخريج . وكان خيراً منه « معنى الدولة » وخير منهما « الدولة » وفي كتب الغربيين الذين نقلدهم ونأخذ عنهم ، كثير من الكتب بهذا الاسم : « الدولة » .

والأستاذ البارودي بعد ، مشكور على جهده وخدمته للعلم والأدب .

شرح قانون العقوبات

للدكتور عدنان الخطيب
المعاون العام لدى محكمة الاستئناف بدمشق

الكتاب من القطع الكبير ، صفحاته مئتان وتزيد . تناول فيه المؤلف الجرائم المخلة بالأخلاق والآداب العامة . واعتمد في شروحاته وتعليقاته ، على مصادر عربية ، لمؤلفين وشراح : لبنانيين وفلسطينيين ومصريين وعراقيين وسوريين ؛ ومؤلفات فرنسية بلغت العشرات ، وعزز ذلك بقرارات تمييزية ، فجاء الكتاب قيماً مفيداً ، جامعاً لأقوال قانونية موثوقة ، ولأنظار اجتهادية صائبة .

تعرض الأستاذ الخطيب في مقدمته لقانون الجزاء العثماني ، فأشار الى مصادره ، والى ما طرأ عليه من تعديل . وذكر البلدان والأقطار التي كانت خاضعة له ، وكيف تحررت منه ، شيئاً فشيئاً ، وبلداً فبلداً ، الى أن انتهى الأمر الى لبنان ، فوضع قانونه ، ثم جاءت سورية فأخذته عنه[1] .

ويصف الاستاذ الخطيب « القانون اللبناني » بأنه : « وليد دراسات عميقة ، بنيت على الحركة الدولية .. وقد أخذ فيه بأحدث النظريات العلمية ، دون أن يتقيد بمذهب من المذاهب المعينة ، انما كان يأخذ من كل مذهب خير ما فيه بالنسبة للأوضاع الاجتماعية الخاصة .. »

ويأخذ المؤلف على « القانون اللبناني » انه : « جاء مهلهلاً في بعض أجزائه ،

(١) أردنا وزارة العدل السورية ـ يوم كنا فيها ـ أن تتبنى القانون اللبناني . وبعثنا بنسخ منه الى كبار القضاة والمحامين ليبدوا رأيهم فيه ، وملاحظاتهم عليه . فاجتمع لنا من ذلك دراسة موجزة مفيدة ، وآراء قيمة . غير أن النزعات الشخصية ، والحرص على بقاء ما كان على ما كان ، مخافة الضجة والاحتجاج ، هذا الى الرغبة في افادة بعض الراغبين في الفائدة ، كانت تجعل الوزراء يتعللون في دفع هذا الاقتراح بالعلل الواهية ، ورأينا من الصواب أن ننصرف الى تطهير القضاء ممن لا يجوز أن يبقوا فيه ، لأن القيمة ـ في رأينا ـ للقائمين على القانون ، أكثر مما هي للقانون نفسه .

فلما أن امكنت الحال في سورية من وضع قانون العقوبات « استمدت أصوله من روح القانون اللبناني ، ومن أكثر نصوصه » قالت : « والسبب في اختيار هذا القانون يعود الى ما يمتاز به من الاتقان في الوضع والصياغة والترتيب ، والى ما بين سورية ولبنان من الصلات الاقتصادية والاجتماعية المشتركة . وهما بلدان ليس بينهما حواجز كمركية (وعلى لغة اليوم جمركية ! ..) وحرية الانتقال من أحدهما الى الآخر مطلقة غير مقيدة بقيد (كان ذلك يوم أخذ هذا القانون ، أما اليوم فقد تبدلنا حالاً بحال) ، فهما بهذا الاعتبار بحكم البلد الواحد ، وبين شعبيهما وحدة في التقاليد والعقلية والبيئة ، فمن غير المعقول أن يختلف أحدهما عن الآخر في تشريعه الجزائي بل انما مصلحتهما تقضي بان يتفقا في هذا التشريع ... »

قيل هذا القول ، وأخذ هذا القانون ولكن .. بعد أن أضاعت سورية كثيراً من الوقت ، وخسرت كثيراً من المال في سبيل وضع قانون جزائي .

ضيعفاً في بعض مواده من ناحية الصياغة العربية ، وهو لا يخلو من أحكام غير دقيقة .. قد لا يخلو من أمثالها قانون في أول تطبيقه ..»

وهي ملاحظات نوافق الشارح فيها . وقد حمله ذلك على المبالغة في انتقاد اللفظات ، وانتخال العبارات ، غير أنه لم يسلم من بعض ما أخذه على غيره . والسبب في هذا ، ان القوانين التي نضعها ، أو بعبارة أصح ننقلها ، لا يزال أكثرها غريباً عنـا مبنى ومعنى ، مفرداً ومركباً . وقد وقع لنا كثير من مثل هذا ، يوم كنا نعاني صوغ التنظيمات والمراسيم والقرارات ، فيأتي على بعضها مسحة من العجمة ، رغم المبالغة في تنقيتها وتقريبها .

فمن هذه الألفاظ والتراكيب التي جاءت في الشرح والتعليق : « الحبس لمدة تتراوح بين يوم وعشرة أيام » وليس من معنى اقوالنا « تتراوح » هنا إلا على تخريج بعيد . ولو قال : « الحبس من يوم الى عشرة أيام » اتم المعنى ، وهو أيضاً التعبير الحرفي الذي يغلب على القوانين الفرنسية التي نأخذ عنهـا ، والتي تُعنى بالصياغة عناية تامة . وحرص الشارح على أن يستعمل « نص عليه » لا « نص عنه » ، غير أنه رغم هذا التدقيق سبقه قلمه غير مرة فاستعمل « نص عنه » . واستعماله : « شكل » و « تشكل » بدلاً من « ألف » و « تؤلف » . ومما استشهد به ، ولا تبعة عليه فيه ، غير انه كان مفيداً ان ينبه الى مثله ، قول بعضهم « لا تبعة عليه من أجلها » وكان أصح لغة ، وأدق استعمالاً لو قيل « لا تبعة عليه فيها » ويستعمل « مبرِّر » في حيث يقوم مقامهـا « مسوِّغ » واستعمال « التهتك » متعدياً بمعنى ايقاع فعل على الآخر في مثل قوله « جريمة التهتك » مما لا يصح فالتهتك مطاوع هتك تقول : تهتك فلان : افتضح أمره فهو فعل صادر عنه لا عليه ، لذلك لا يصح استعمال هذه اللفظة في مثل هذا الموضع ترجمة لـ Impudicité التي عرفها بأنها جريمة : « اللمس » و « المداعبة »

وقد سبق للترك ولمن أخذ عنهم أن استعملوا الثلاثي «هتك» ومصدره «الهتك» لا «تهتك» و «التهتك» .

والى جانب هذه الألفاظ التي تدخل في نطاق القانون ، نرى أن الأستاذ توسع من حيث اللغة ـ على حرصه على صحة اللفظ وسلامة التعبير ـ فاستعمل ما كان في غنى عن استعماله ، من ذلك :

الصدفة ، والصدف . والصواب : المصادفة والمصادفات .

الامرأة . والصحيح : المرأة .

تلقاء : فعله « من تلقاء نفسه » والعرب تقول في مثل هذا المعنى : « فعله من نفسه ، أو من ذات نفسه »(١) .

(١) التِلقاء : معناها اللقاء ، وتِلقاء فلان حذاءه . وفي لسان العرب ، مادة لقي ... والتِلقاء .. هو مصدر نادر ، ولا نظير له إلا التبيان ...
الى أن يقول :
وجلس تِلقاءه أي حِذاءه . اه
وليس في هذه المادة ذكر لمثل ما هو شائع اليوم من قولهم : « فعله من تلقاء نفسه » ولا لما يفهم منه جواز هذا التعبير .
غير ان المنجد يقول : « التِلقاء : الاسم من اللقاء . مكان اللقاء والمقابلة . يقال : « جلس تِلقاءَه » أي : تجاهه . و « فعل الأمر من تلقاء نفسه » أي من عند نفسه ، غير مسوق اليه ، ولا مكرهٍ عليه . وجاءت العبارة نفسها في البستان مع تقديم احدى السجعتين على صاحبتها : « فعل ذلك الأمر من تلقاء نفسه » أي من عند نفسه ، غير مكره عليه ، ولا مسوق اليه .
والغالب على أصحاب المتون أن ينقلوا النص على ما ورد ، لا يقدمون فيه ولا يؤخرون . فهل اعتمد البستاني في عبارة بستانه على المعلوف في منجده ، فزاد في المثل « ذلك » وقدم وأخر في التفسير بين السجعتين ، يريد أن يخرج عن النقل الحرفي ! أم كان لكليهما مصدر نقلا عنه ؟
وهل هذا الاستعمال : « فعل الأمر من تلقاء نفسه » استعمال صحيح ، وعليه نص في القديم المعتمد من معاجم اللغة ؟

الباكر : وعدل في مواضع من كتابه عن نعته « الفتاة العذراء » بـ « الفتاة البكر » الى « الفتاة الباكر » ولا أدري وجهاً لهـذا العدول ، و « الباكر » في هذا المعنى من كلام العامة . الى أمثال هذه التجوزات .

وقد يكون في شرحه أحياناً تطويل يستغنى عنه ، كإيراد قرار محكمة عليا لإثبات اجتهاد ، ورد عليه في القانون نص صريح . وهو شيء اذا حسُن في الشرح والتفسير ، فقد يستغنى عنه في إثبات نظرة قانونية .

وكنت اريد ان يتجنب صاحب الكتاب بعض العناوين التي لا تساير صرامة قانون العقوبة وخشانته ، وان يكتفي في اهدائه كتابه لأبيه بالكلمة الأخيرة ، وهي عبارة جامعة ، فيعدل عن اغراقه في مدح اذا هو جاز من غريب في غريب ، فهو لا يجوز أن يصدر عن قريب في قريب ، فكيف من ابن في أبيه .

وبعد ، فقد نكون أطلنا ، غير أن الكتاب يستحق الدراسة والعناية ، وقد أعطاه صاحبه كثيراً من جهده ووقته ، فجاء كتاباً ممتعاً موفقاً — فلا علينا ان نحن أطلنا فيه الكلام . **عارف النكدي**

(استدراك)

جاء في مقال تصحيح نهاية الأرب المنشور في هذا العدد :

(ص ٥٦٧ سطر ١٤) والتنفيذ صوابه والتنقيد .

وفي (ص ٥٦٨ سطر ١١) درنيد صوابه دربند .

وفي (ص ٥٧٠ سطر ٤) ذا أثر صوابه أثُر بضمتين بمعنى فرند السيف .

وفي (ص ٥٧١ سطر ٤) أربعة قوائم صوابه أربع قوائم .

وفي (ص ٥٧٤ سطر ١٥) بغداء صوابه بغداء .

وفي (ص ٥٧٤ سطر ١٨) في الشريف صوابه في الشرَف .

وفي (ص ٥٧٦ سطر ٩) تَذَبَّبْت صوابه تَذَبّبُ .

آراء وأنباء

المعاني الكبير وأمالي اليزيدي

نشرت مجلة المجمع العلمي في الجزء الثاني من هذا المجلد السادس والعشرين كلمة في باب التعريف عن كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة وكتاب الأمالي لليزيدي .

ولم يُذكر ما للمستشرق الأستاذ « كرنكو » من فضل في اخراج هذين الكتابين وتهذيبهما ونسخهما بخط يده مع وضع الفهارس لهما . فقد أشار الى هذا الفضل الأستاذ « عبد الرحمن اليماني » الذي أشرف على تصحيح كتاب المعاني الكبير بكلمة شكر في مقدمته منها قوله : « علينا وعلى جميع العالم الأدبي تقديم الشكر الجزيل لحضرة المستشرق الجليل العلامة الدكتور كرنكو فإن له الفضل في إحياء هذا الأثر الثمين مع ما بذله من المجهود البالغ في تصحيحه والتعليق عليه وترتيب فهارسه ، مؤملين ان لا يزال يقدم للعلم وأهله أمثال هذه التحف السنية » .

كما ذكر الأستاذ « الحبيب عبد الله بن احمد العلوي الحسيني الحضرمي » مصحح دائرة المعارف العثمانية في مقدمة كتاب الأمالي الذي وقف على طبعه ووضع مقدمته أنه اعتمد على نسخة المستشرق الكبير وأشار الى فضله وعلمه .

والمجمع العلمي يضم شكره الى شكر الناشرَين ويتمنى للعلامة الأستاذ كرنكو طول العمر ليمدّ الخزانة العربية بما يقدمه اليها من خدمات جليلة ، ويضيف الى أياديه البيض السالفات وصنيعه المحمود أيادي جديدة مشكورة . لا زال عوناً للعربية ونصيراً للعلم والأدب .

تلاعب النساخ

أشرت في المجلد السادس عشر من هذه المجلة (ص ٢٠٧) الى ما ارتكبه ناشر كتاب حلية الأولياء للحافظ ابي نعيم الاصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ من الغلط الشائن بضمه الحواشي والهوامش التي وجدها على النسخة المخطوطة، وما هي من صلب الكتاب ولا مما كتبه مؤلفه، لأنها عبارات تشهد لكاتبها بأنه أعجمي متهوس بالتصوف أقحم ما أراد التدليس فيه بين السطور اقحاماً . ومن هذه السخافات التي لا يفهم عربي معنى لها قوله في المتصوفة : وهم المصونون عن مرامقة حقارة الدنيا بعين الاغترار المبصرون صنع محبوبهم بالفكر والاعتبار . وقوله : بدأنا بذكر من اشتهر من الصحابة بحال من الأحوال وحفظ عنه حميد الأفعال وعصم من الفتور والاكسال وفضل الله العهود والحبال ولم يقطعه سآمة ولا ملال . وقوله في التصوف : انه السكون الى اللهيب في الحنين الى الحبيب . استنقاذ الطوق في معاناة الشوق وتزجية الأمور على تصفية الصدور . مرامقة المودود ومصارمة المحدود . اسلام الغيوب الى مقلب القلوب . الارتقاء في الأسباب والمقدرات من الأبواب . البروز من الحجاب الى رفع الحجاب . النزوح بالأحوال والتخفيف من الأثقال . الوفاء والثبات والتسامح بالمال والجدات . طلب التأنيس في رياض التقديس . المفرق البينونة الى مقر الكينونة . اقامة الدنف المعذب على حفاظ الكلف المهذب . الوطئ على جمر الغضا الى منازل الأنس والرضا . استنشاق النسيم والاشتياق الى التسنيم . مشاهدة المشهود ومراعاة العهود ومحاماة الصدود . تصحيح المعاملة لتصحيح المنازلة . تسور السور الى التحلل بالحور . قطع العلائق والأخذ بالوثائق . التأله والتدله من غلبات التوله . الى عشرات من هذه الجمل التي ما أغفل المهمش والمحشي صفحة من كتاب حلية الأولياء من وضع هنات منها .

وكتب صديقنا الأستاذ طه الراوي رحمه الله في المجلد التاسع عشر (ص ٣٧٣) وصف كتاب صفوة الصفوة لابن الجوزي (٥٩٧) وهو مختصر حلية الأولياء وقال ان ما دعا ابن الجوزي الى اختصاره الا السجع البارد الذي لا يكاد يحتوي على معنى صحيح خصوصاً في ذكر حدود التصوف . واستنتج الراوي من ذلك ان ما ورد في المخطوطات من الترهات هو من صنع المؤلف نفسه لأنه جاء في الأصل والله أعلم أي يد أثيمة تعاورت هذا الأصل حتى وصل الينا على هذه الصورة البشعة .

وكتاب الحلية في الواقع لا يدخل في شيء من مذهب ابن الجوزي ، ومذهبه انكار التخريفات المعزوة الى الأولياء . وابن الجوزي ، وكل عالم يعرف شريعة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، ينكر كل هذه الجمل التي حشى بها المحشي هذا الكتاب لأنها تنادي على نفسها بأنها من وضع ذاك الجاهل ، قصد بها تضليل العقول وشغل الناس بالفضول . وفات من أحسنوا الظن بالمخطوطة الأصلية وأصروا على رأيهم ، أنها من كلمات المؤلف ابي نعيم ، ان هناك تلاعب النساخ الجهال أيضاً ، ولو تأملوا لحظة في حياة ابي نعيم وعصره لما توقفوا عن أن يسيروا معنا في طريق الانكار على المحشي وحواشيه . ومن أعظم مؤرخينا ابن خلكان وصف ابا نعيم الأصفهاني بانه « من أعلام المحدثين وأكابر الحفاظ الثقات اخذ عن الأفاضل واخذوا عنه وانتفعوا به ، وكتاب الحلية من أحسن الكتب » . هذه شهادة شهدها احد العارفين من المؤرخين أفيعقل بعد هذا أن يؤلف ابو نعيم كلاماً لا يصدر إلا عن مجنون ؟

نعم نسي الأستاذ الراوي عبث النساخ وما قاساه العلماء في كل عصر من جهلهم وضلالاتهم . وآخر ما قرأناه من عبثهم ما جاء في ذيل الروضتين لأبي شامة قوله : توفي ولدي ابو الحزم محمد جمعني الله واياه في الجحيم ... وقوله عن شيخه وقد مدحه وكان عنه راضياً : جمع الله بيننا وبينه في النار آمين . ولعن

(أي الناسخ) من ذكر المؤلف اسماءهم من القضاة وغيرهم وورد في ورقة (٣٠١) قوله اثناء ذكر الشيخ ابي عمرو عثمان بن الحاجب انه كان متقناً لمذهب مالك بن أنس لعنة الله عليه .

وكان ابو شامة على ما يظهر من ذيل الروضتين يدخل الخصوصيات في العموميات كذكره أولاده ومن مات منهم ومن تلقى الحديث ويذكر بالتفصيل وفاتهم وغسله لهم ودفنهم ومن مشى في جنائزهم ويذكر من زوج منهم . وكان مغرماً بتشييع الجنائز واذا صلى على ميت اغتبط بأن كان اماماً في الصلاة عليه ، ومغرماً بمن يخرف من ارباب الدين أما من يتعاطون الفلسفة والنظر في علوم الأوائل كالفخر بن البديع البندهي فهم زنادقة ملاحدة ، يساكنون فقهاء المسلمين في مدارسهم ويفسدون عقائد شبانهم ويتهمونهم باستنقاص الأنبياء فتجوز عليهم اللعنة فقد أتبع ذكر البندهي كما ذكره بقوله (لا رحمه الله ولا رضي عنه ولا عن أمثاله) وهكذا تكرر لعنه (او لعن الناسخ) على ما لا يقول به عاقل .

والقارئ يدرك ولا شك ان اباشامة مهما بلغ من سخفه لا يكتب اكثر هذه العبارات وهو القاضي المتشبع بأحكام الشرع والمؤرخ البارع في الجملة . ومن هناته قوله لما ذكر القاضي الفاضل معاصره (مات القاضي الفاضل) فقط ولما ذكر ابن الجوزي الواعظ كتب فيه عدة صفحات وأتى على طرف من شعره الركيك . والغالب انه كان شيء في قلب ابي شامة من القاضي الفاضل ، نشأ من المنافسة على المنصب في حكومة السلطان صلاح الدين عليه الرحمة . وهذه المنافسة طبيعية ، وكثيراً ما تؤدي بالمنافس القوي الى أن يهلك منافسه بلا رحمة ، كما جرى للسان الدين ابن الخطيب ولابن خلدون في المغرب ، وكما كان من المنافسة البشعة بين محمد بن عبد الملك الزيات واحمد بن ابي دواد في البلاط العباسي ببغداد .

وأنا أستميح المشتغلين بالآداب ان أعرض عليهم رأيي في المخطوطات وما يتخلل بعضها من الخلل بفعل هؤلاء الناسخين الماسخين ، فانهم جوزوا لأنفسهم ان ينحلوا كتاب زيد الى عمرو بدعوى ان الكتاب يصادف رواجاً أكثر اذا نسب الى مؤلف مشهور ، ومن هذا القبيل نحلوا كتباً للجاحظ ولابن قتيبة ولقدامة بن جعفر ولابن قيم الجوزية وهي ليست لهم وما خطر لهم أن يخطوا في موضوعها شيئاً ، وربما كان الكتاب المحول مما يخالف آراءهم . والسبيل الى معرفة الصحيح من الزيف من الكتب ، ولا سيما عند الطبع ، استحضار ما يمكن استحضاره من النسخ المتعددة من الكتاب ، وتصفح ما للمؤلف من المصنفات واعتبار لغة الكتاب وأسلوبه . ولغة المؤلفين في القرن الثالث والرابع لا يمكن أن تشبه لغتهم في القرن السابع والثامن . ثم ينظر في الخطوط فان الخطوط أيضاً تختلف قاعدتها من عصر الى عصر . ومن أهم ما يكشف تلاعب الناسخ مذهبه وبلده ، فنساخ بلاد العجم ينسخون ما يتصل مع منازعهم ويدسون في النصوص ما يقوي دعوتهم ، أو ما يتوهمون انه ينفعهم في تأييدها . ونساخ الديار الشامية والعراقية والمصرية يكتفون بالقذف واللعن وأكثرهم عند التمحيص كذبة وضاعون . وأصح المخطوطات ما كان من نسخ العلماء الذين قصدوا بها خدمة العلم أولاً ، والارتفاق بثمنها ثانياً ، ولكن أكثر هذه المخطوطات لم تصل الينا مع الأسف شأن كثير من الكتب الجيدة لعظماء من المؤلفين أدخلها من جاءوا بعدهم في كتبهم فوصل الينا الفرع دون الأصل . ولكم دل النساخ والوراقون على جهل مزرٍ بأن أضافوا الى أصول الكتب التي عبثوا بها أشياء كتبت في الكتب بعد عهدهم بقرنين وثلاثة . وقد أشرت في هذه المجلة الى بعض ما وقع لهم من هذا القبيل ومنها في فتوح الشام للأزدي البصري (مجلة المجمع م ٢٠ ص ٥٤٤) والامامة والسياسة الذي نحلوه لابن قتيبة الدينوري وما هو له .

برع علماء المشرقيات في الغرب في معرفة السقيم من السليم من المخطوطات . وأذكر ان أحد أصحابي من فضلاء السامرة جاء مصر مع أحد ربابنتهم قاصداً الى لندن ليعرضا نسخة من التوراة ادعى الربان انها أقدم نسخة وجدت ، وكان صاحبي وصاحبه يؤملان ان يبيعا تلك النسخة بمئات الألوف من الجنيهات ولما عرضت ، وأظن على المتحف البريطاني ، جاء العلماء ينظرون في التوراة القديمة فحلوا حبرها وتدبروا ورقها فتبين أنها كتبت بعد قرون من دعوى أصحابها . وقال من نظر فيها : لو صحت دعوى عارض هذه التوراة لابتعناها بمليون جنيه ، فرجع صاحبي ورفيقه بالخيبة .

محمد كرد علي

أرجوزة علي بن الجهم

كنت قلت في ابن أبي عذيبة وتاريخه في مجلة المجمع الغراء :

« نظم الوقائع قديم في التاريخ ، وعندي قصيدة لعلي بن الجهم في التاريخ الى أيامه . ولعلها أقدم القصائد . ثم جاء آخرون منهم صاحب هذه القصيدة (نظم الجمان في ذكر من سلف من ملوك الزمان) . ومنهم السيوطي وعديدون »[1] اهـ .

ولا شك أن في تاريخنا مختلف النظم لا سيما في الوقائع أو في المناقب . وهذه لا ينكر نفعها لمن ليس له وقت في التبسط ، أو مجال في التوسع . وانما القصد تبليغ المعرفة من أقرب وجه .

وهذه الأرجوزة تعدّ من (المتون التاريخية) . فاذا كان (ابن النطاح) المتوفى سنة ٢٤٢هـ — ٨٥٦م أول من كتب في (الدولة) العباسية ، فهذه

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مج ٢١ ص ٣١٢ سنة ١٩٤٦م .

الأرجوزة جاءت في التاريخ الاسلامي العام الى أيام ناظمها . وتعدّ الأولى من نوعها . وابن الجهم من معاصري ابن النطاح وان كان تأخر عنه في الوفاة قليلا .

ولولا أن الاشارة وردت من مؤرخين عديدين في أقدم المصادر لداخلنا الريب في صحة نسبتها الى ابن الجهم . وصلت الينا كاملة في (كتاب الفرق) لأبي محمد وحده . سردها جميعها . وهو نص قديم . كان من علماء النصف الأول من المائة السادسة للهجرة ، فكان مؤكداً صحة نسبتها . وأما اختلاف نصوصها فهو ناجم من تعدّد النسخ من هذا الكتاب أعني (كتاب الفرق) فهو السند الوحيد . لان النسخة لم توجد في أصل الديوان .

وفي (تاريخ الخلفاء) للسيوطي أشار الى هذه الأرجوزة ويعدُّ سنداً آخر . قال :

« قد عمل بعض الأقدمين أرجوزة في أسماء الخلفاء ووفياتهم انتهى فيها الى أيام المعتمد (كذا) . » اهـ .

ويبدو من قوله أن (المعتمد) غير صواب . وانما هو (المعتز) فالتصحيف ظاهر أو محتمل جداً . لأنها كتبت الى أيام المعتز . ثم يأتي (المهتدي) ، وبعده (المعتمد) . بقصد هذه الأرجوزة ـ كما يتبين ـ دون غيرها . ولو رجعنا الى النسخ المخطوطة من كتاب (تاريخ الخلفاء) ، أو رأينا النسخه الأصلية منه لأمكننا معرفة التصحيف ، أو كان ذلك سهو قلم منه . كثيراً ما يقع أمثاله . وهذا التاريخ نبّه على التصحيف والنقص والتحريف فيه صاحب الطباعة المنيرية . فلا يكاد يخلو من غلط ناسخ في كل صفحة منه .

يؤيد هذا اننا لم نعثر على (تاريخ منظوم) قريب من هذا العهد لناظم آخر . ولا يخطر على بال أن الأستاذ السيوطي قصد (أرجوزة ابن المعتز) فانها (في المعتضد بالله) ولم تكن في جميع الخلفاء .

ثم قال السيوطي :

« وقد عملت قصيدة أحسن منها . ورأيت أن أختم بها هذا الكتاب ... » اه
فوقف بهذه القصيدة عند الخليفة المستمسك بالله (يعقوب بن المتوكل) . ذكر أنه ولي الخلافة في سلخ المحرم سنة ٩٠٣ هـ — ١٤٩٧ م . وهذا توفي في ١٧ شهر ربيع الآخر سنة ٩٢٧ هـ . ثم توفي المتوكل في ١٢ شعبان سنة ٩٥٠ هـ — ١٥٤٣ م وأعقب ابنين عمر وعثمان . وبموتهما انقطعت الخلافة (١) .

وأرى أن تقرن أرجوزة ابن المعتز بأرجوزة ابن الجهم ، وان توضحا توضيحاً تاريخياً يكشف عن وقائعهما ، فتخلدان في مجموعة باعتبارهما لشاعرين معروفين متقاربي العهد . ولا يكفي تثبيت نصوصها بل التعليق من الوجهة التاريخية ضروري .

وفي نسختي من أرجوزة ابن الجهم ما يصحح بعض الأبيات مثل قوله في صفحة ٦٧ س ٣ من مجلة المجمع :

وكان في العشرين من ولاتها من آل عباس ومن حماتها

فجاء في نسختي :

فكان ثاني العشر من ولاتها من آل عباس ومن حماتها

ومن المقابلة يظهر الكثير من التصحيحات أو الترجيحات لتكون كاملة . وفي الوقت نفسه تراعي الموافقة للنصوص التاريخية الأخرى ...

وجاء بعد ابن الجهم كثيرون نظموا في التاريخ منهم :

١ — ابن المعتز نظم أرجوزة في المعتضد بالله (٢٧٩ هـ ـ ٨٩٢ م : ٢٨٨ هـ ـ ٩٠١ م) في بيان حوادث هذا الخليفة . وذكر الحالة قبله . وهذه الأرجوزة داخلها التصحيف كما أنها تحتاج الى ما يوضح نصوصها ويصحح ما فيها ، ويشرح مطالبها . بصرت بالحالة أيام المعتضد ، وبأوضاع من كان قبله (٢) .

(١) كلشن خلفا والخطط التوفيقية الجديدة ج ٢٠ ص ١٧ والاعلام باعلام بيت الله الحرام ص ٨٦ .

(٢) ديوان ابن المعتز طبعة سنة ١٨٩١ م ص ١٢٦ والأرجوزة طبعت مستقلة سنة ١٣٣١ هـ — ١٩١٣ م . وكذا جاءت في كتاب رسائل ابن المعتز للأستاذ محمد عبد المنعم الخفاجي . وطبع سنة ١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م .

٢ — قصيدة ابن عبدون المتوفى سنة ٥٢٩ هـ — ١١٣٤ م . وهي متداولة . ولها شروح عديدة . طبع بعضها .

٣ — أبيات لشمس الدين محمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ .

٤ — لسان الدين ابن الخطيب القرطبي المتوفى سنة ٧٧٦ هـ . أرجوزة في تاريخ الاسلام .

٥ — أبوجعفر محمد بن احمد بن الحسين السراج المتوفى في شهر رجب سنة ٨٠٢هـ.

٦ — تحفة الظرفاء في تاريخ الملوك والخلفاء . أرجوزة للشمس محمد بن احمد الباعوني الدمشقي . كتبها الى زمان المستعين بالله . وتوفي في شهر رمضان سنة ٨٧٠ هـ . ولابن حجر شيخ الاسلام قصيدة تعين الحالة في أيام المستعين بالله . ذكرها السيوطي في تاريخ الخلفاء .

٧ — البهاء محمد بن القاضي جمال الدين يوسف . ذيل بها على التحفة . وتوفي في ١١ شهر رمضان سنة ٩١٠ هـ .

٨ — ابن أبي البقاء . له أرجوزة في الخلفاء .

٩ — احمد بن يعقوب المصري .

١٠ — عبد الله بن الحسين بن سعد الكاتب [١] .

١١ — قصيدة السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ في آخر تاريخه . مرّ الكلام عليها .

١٢ — عبد القادر بن حبيب الصفدي المتوفى في ١١ جمادى الأولى سنة ٩١٥هـ — ١٥٠٩ م . له تائية في التاريخ شرحها الشيخ علوان الحموي المتوفى سنة ٩٣٢ هـ — ١٥٢٧ م .

١٣ — منظومة في آل أفراسياب في تاريخ البصرة لما بعد الألف . وهي من نظم الشيخ ياسين بن حمزة آل شهاب البصري [٢] .

(١) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٩٥ وغيره .
(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ١٣٩ .

١٤ — العرشي . له (مسك الختام في من ولي اليمن من ملك وامام) . شرحها ناظمها . ونشرها الأستاذ الكرملي سنة ١٩٣٩ م .

١٥ — دول الاسلام . لأمير الشعراء المرحوم احمد شوقي بك .

ولا محل للاستيعاب . وفي السيرة نظم كثيرون أيضاً . أورد الأستاذ السخاوي جماعة منهم . ومنظومات العلوم كثيرة . و (أرجوزة ابن الجهم) فتحت باباً لأمثالها في اللغة والنحو والخط والموسيقى والطب وسائر العلوم . وبعضهم أكثر من نظم العلوم مثل البيتوشي والشيخ معروف النودهي . وفي هذا الأخير قيل : لو شاء لنظم القرآن . ! وعندي (نظم الكفاية) في اللغة نسبت الى ابن مالك ولم نعثر عليها في قائمة مؤلفاته . ونظم كليلة ودمنة ، والصادح والباغم من أقدم ما نظم بعد ابن الجهم . والايرانيون نظموا كثيراً في التاريخ والمناقب وفي العلوم . ومثلهم الترك . والكل جاء بعد ابن الجهم ...

ويهمنا أن تظهر أرجوزة ابن الجهم صحيحة . ولم تصل الينا الا في (كتاب الفرق) . ومن الضروري مراجعة نسخ هذا الكتاب . وعندي نسخة منه مقابلة على المطبوعة وعلى نسخة أخرى . وربما عدت الى ذكر (كتاب الفرق) وبيان نسخه . ونسخة الأستاذ المرحوم السماوي منقولة من النسختين اللتين في النجف . احداهما طبعت ، ثم صودرت . وكان من الممكن أن يعلق عليها بما خالف . والرأي الشخصي لا يؤثر على أصل العقيدة ليمنع الكتاب . وفيه فوائد تاريخية وعقائدية لا تحصى . والأستاذ السماوي تكتم في ذكر الكتاب أو بقي في تلوم ولعل له العذر الذي منع من أجله المطبوع . والفضل في هذه الاثارة لمعالي الأستاذ خليل مردم بك في الكشف عن صفحة غامضة من مخبآت تاريخنا العلمي والأدبي .

عباس العزاوي

تعقيب على ملاحظات الدكتور مرشد خاطر

للدكتور مرشد خاطر ، مقال في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ١ — ٢٦ ، ص ٧٦ عنونه (بملاحظات مقتضبة على مصطلحات علم الأمراض المدرجة في الجزء الخامس من مجلة مجمع فؤاد الأول) اعجبني أكثر ما جاء فيـه فأردت تأييده في هذا الأكثر وابداء رأيي في سائره .

فما أؤيده فيه وضعه (الاجْل) لـ Torticolis و (الداغصة) لـ Patella و (النَّخَر) لـ Necrosis و (فاعل) لـ Active و (منفعل) لـ Passive و (الاختلاج) لـ Convulsion و (التشنج) لـ Spasme و (التهاب القولون) لـ Colite و (القولنج) لـ Colic و (المبضع) لـ Bistouri و (التقلص) لـ Contraction و (القولون المعترض) لـ Transverse colon و (الورم العفلي) لـ Sarcoma و (غشاء الجنب) لـ Pleura و (ذات الجنب) لـ Pleurésie و (البُوال) لـ Pollakiurie و (الخزب) لـ Œdema و (المشاشة) لـ Épiphyse و (الشغاف) لـ Endocardium و (التامور) لـ Péricardium و (الورم القُنْبيطي) لـ Condyloma .

هذا ما أستحسنه كل الاستحسان وما أنا قائل بجله من قبل . أما سائر المصطلحات التي أوردها الدكتور الفاضل فلي فيها آراء أعرضها في ما يأتي كما ورد في مقالة لي نشرتها مجلة الكلية الطبية العراقية في جزئيها الأول والثاني المزدوجين للسنة التاسعة ص ٢٧٩ بعنوان (آراء نقدية حول المصطلحات الطبية التي وضعها المجمع اللغوي) أي مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية ج ٥ — ص ٢١٤ فما بعد . وهي طويلة انتقدت كل ما جاء في الجزء المذكور من المصطلحات الطبية ، فمن شاء فليطلع عليها .

قلت هناك : قوله الشكب Trismus · لا وجود لكلمة شكب (اعني في اللغة الفصحى) · أقول (ضُزاز) وسمي كزاز الفك وفي القانون ٢ ـ ١٢ انطباق الفم · وسماه داود الانطاكي في التذكرة ٣ ـ ٥٧ بالتطبيق · وضزاز خير من ضزز لأنه على وزن فعال المفيد معنى المرض ·

Trépanation سموه بالنقب · وسماه الدكتور مرشد خاطر بالحج · قلت سماه ابن سينا ق ٣ ـ ٢٠٩ بالـ (تقوير) وهذه موافقة كل الموافقة · فان المقورة Trépan مدورة الحد تفصل قوارة من العظم · أما الحج فهو والسبر واحد · جاء في القاموس : الحج سبر الشجة بالمحجاج للمعالجة ، والمحجاج اسم للمسبار · اهـ · وأما ما جاء فيه : حج اذا قدح بالحديد في العظم اذا كان قد هشم ، فالقصد منه اخراج شظايا العظم الهشيم ·

Herpes سموه عقابيس وصححها مرشد خاطر بالعقابيل · وهذا صحيح · أما أنا فأقول انه الهَبَرَص بعينه · ولنترك عقابيل لبقايا المرضى Séquelle ·

Pyrosis · سموه الجائر · وقال مرشد ترجمها شرف بالحزة والترجمة حسنة على ما أرى وان لم تفد المعنى تماماً ـ قلت : في التاج في مادة (جبر) الجُبّار حرقة في الصدر والحلق غيظاً أو جوعاً · اذن ليس من سوء الهضم فلا يفيد استعماله هنا · أسميه (القَفَص) فقد ورد في التاج : القفص بالتحريك حرارة في الحلق وحموضة في المعدة من شرب الماء على التمر ··· وقال غيره من شرب النبيذ ··· وقفص وقبص بالفاء والباء اذا عربت معدته · يعني فسدت ـ لا يهمنا ما بينه صاحب التاج من الأسباب في حصول هذه الحادثه المرضية · انما يهمنا قوله في الجُبّار حرقة في الصدر والحلق ، وفي القفص قوله حرارة في الحلق وحموضة في المعدة · فاختر احداهما · أما أنا فأختار (القفص) لأنه جاء مقروناً بفساد المعدة وأما الحزة فلا تفيد المعنى المطلوب ·

وسمى الدكتور الـ Séquestre رمةً . المعروف ان الرمة تقال للعظام التي بليت في القبر . ولم يقلها أحد لكسارات العظام في الجروح والخراجات . انما هي (الشظية) كما في القانون لابن سينا ٣ ـ ١٨٦ طبعة مصر . وسمى الـ Sphacèle بالموات . أقول لم يأت الموات بمعنى موت الأقسام الرخوة في الجسد ، بل جاء في التاج الموات كغراب الموت مطلقاً ومنهم من خصه بالموت يقع في الماشية ١٠١ه . سماه المجوسي في كامل الصناعة ٢ ـ ١٨٧ بالخبيثة وسماه ابن سينا أحياناً باسفاقلوس وفي ق ٣ ـ ١١٤ موت العضو ، وفيه أيضاً ٢ ـ ١٢٥ اللحم الميت ـ وأحسن تسمية لهذا الفرض هو (التَّذَيُّؤ) . في التاج في مادة ذَيَّأ : تَذَيَّأ الجرح وغيره تقطع وفسد . وقال الأصمعي : اذا فسدت القرحة وتقطعت قيل تذيأت تذيؤاً وتهذأت ... التذيؤ انفصال اللحم عن العظم بذبح أو فساد .

وقال ان معنى كلة Cirrhose الحرفي Gris بالفرنسية أي الأشهب وأراد تسمية هذا المرض بالكهبة . أقول ليس معناه Gris بل Roux أي الأشقر كما صرح بذلك ليتره في قاموسه الطبي . لذلك اسمي سيروز الكبد باشقرار الكبد . وأما الكهبة فيقابلها بالفرنسية Lividité .

وقال Virus هو الفوعة أو الحمة ، و Virulence هو حدة الحمة ـ أقول Virus هو الحمة و Virulence هو الفوعة . فقد جاء في التاج الفوعة من السم حمته وحدته . وقال : الدرن هو الوسخ فلا يصلح لترجمة Tuberculosis ولا يخفى ان Tuberculose و Phtisie مترادفان باللغة الفرنسية ، فيحسن بنا ان نترجمها بكلمة واحدة وهي السل ولنقل سل دخني عوضاً عن درن دخني ـ أقول : اني أوافقه كل الموافقة على ان الدرن هو الوسخ لا غير وانه لا تصلح تسمية هذا المرض به وأظن أن أول من استعمل كلة تدرن لهذا المرض أخذها من كتاب الصناعتين حيث ذكر التدرن في جملة أمراض الخيل .

والمفهوم ان صاحب كتاب الصناعتين لم يقصد بالتدرن السل بل قصد تغبر الرئة Pneumoconiose • ان كلة Tuberculose مركبة من Tubercule مصغر Tuber ومن ose الأداة التي تفيد المرض • فما هي ترجمة Tuber بالعربية ؟ الجواب : انها العجرة فتكون Tubercule العجيرة و Tuberculose التعجر • فتترجم Tuberculose pulmonaire مثلاً بتعجر الرئة • أما Phtisie فمعناها الأصلي الهزال والسل هو الهزال في اللغة سمي هذا المرض به لأنه يوجبه • ولما اكتشف التشريح المرضي وجوب العجيرات في الرئة في جثث الذين يموتون بهذا المرض سموه Tuberculose • فلنجارهم في هاتين النسختين فنقول لـ Phtisie سل ولـ Tuberculose التعجر أو داء التعجر •

وسمى الـ Synovie بالآح حين انها لا تحوي آحاً بل مخاطيناً وأملاحاً • أقول سماها الجومي في كامل الصناعة ١ ـ ٥١ رطوبة دمعية ، وهـذه تقابل Axongia articulorum و Unguen articulare وسماها المؤلفون في التشريح حديثاً بالزلال غلطاً وهم يقصدون الآحين وسماها أستاذ التشريح مصطفى شوقي بالمصل وليست بالمصل لأن المصل فيه آحين وهذه خالية منه وتركيبها يقرب من تركيب الدمع • والقصد منها ومن الدمع التزليق Lubrifaction • هذا يزلق الأجفان على المقلة وتلك تزلق سطوح المفصل على بعضها • فلنسمها المزلقة ونسمي غشاءها غشاء المزلقة •

وقال الدرقة وحدها تغني عن أن نقول الغدة الدرقية • وهنا غير مقبول • فالغدة الدرقية ليس شكلها شكل الدرقة أي الترس ، بل الغضروف الدرقي الذي هي عليه له هذا الشكل ، فاذا قلنا درقة ذهب الذهن اليه •

وسمى الـ Sphincter صارة أو مصرة • قلت الصحيح الصارة لا المصرة لأن فعل أصر له معانٍ أخرى غير معنى الحبس •

وسمى الـ Plasma بالمصورة ؛ وهذا جيد . لكن المصورة وردت في مقالته بفتح الواو والصحيح كونها بكسره . ولعل ذلك غلط مطبعي .

وأراد تسمية Oligurie بالتبويل و Anurie بالابالة و Polyurie بالبوالة و Diurétique بالمبولة ـ أقول ان هذه التسميات يعسر حفظها وتقبل الخلط والغلط فيها ولم يقل بها أحد . فالتبويل هو أخذ الصبي الى مكان او اناء يبول فيه وأيضاً اجراء القثطرة لمن احتبس بوله . والابالة والتبويل واحد . والمبولة تقال للمكان والاناء يبال فيها . فالتسميات القديمة أحسن . نقول على الترتيب قلة البول ، وانقطاع البول ، وكثرة البول ، ومدر للبول .

ورجح ترجمة Murmure بالخفيف على ترجمته باللغط . لكني أرى اللغط فيها هو الصواب . أما الخفيف فهو الـ Frôlement . ر . لاروس القرن العشرين

واستحسن جداً ترجمة Médiastin بالحيزوم ثم عدل عنها الى المنصف ـ أقول الحيزوم مشتق من الحزم وهو الشد بالحزام فالقصد منه خارج الصدر . فاذا قيل الصدر فهمنا منه خارج قفص الصدر من الأمام كما ان الظهر خارجه من الخلف . وعندما يراد داخله يقال جوف الصدر . جاء في التاج الحزيم كأمير الصدر او وسطه كالحيزوم وقيل الحزيم والحيزوم ما يضم عليه الحزام حيث تلتقي رؤوس الجوانح فوق الرهابة بحيال الكاهل ... وجمع الحيزوم حيازيم . وفي حديث علي رضي الله تعالى عنه :

اشدد حيازيك للموت فان الموت لاقيكا

وقولهم اشدد حيزومك وحيازيك لهذا الأمر أي وطن [نفسك] عليه وهو كناية عن التشمر للأمر والاستعداد له . اهـ فقوله حزيم كأمير الصدر أو وسطه كالحيزوم اراد به ان مدلول هاتين الكلمتين الصدر كله أو وسط الصدر من خارجه لا من جوفه . يدعم قولي ما جاء في التاج أيضاً : الحيزوم ما استدار بالظهر والبطن او هو ضلع الفؤاد وقيل هو ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر وهما حيزومان . اهـ . فعلى ذلك لا تصلح تسمية المنصف بالحيزوم .

وترجم Hépatomégalie بالرعامى — أقول هو عِظَم الكبد لا غير كما أن Splénomégalie عظم الطحال . راجع قاموس ليتره تر انه عبر عن هذه الحالة الاخيرة بـ Hypertrophie de la rate أما زوائد الكبد عند ابن سينا ق ٣ — ٣٥٠ فيظهر من كلامه انها فصوص الكبد Lobes . قال : وأعظم زوائدها هي الزائدة المخصوصة باسم الزائدة وقد وضع عليها المرارة . — فهذه هي المسماة بالرعامي في اللغة وهي اذن ما نسميه بالفص المربع Lobe carré . فأين هذا من عظم الكبد .

وسمى Giant cell بالخلية العرطلة ـ أقول ترجمة تقرب من الصواب ، غير انها تدل على الطول والعتو والعصيان أكثر مما تدل على الضخامة . أحسن منها (الجلحابة) . جاء في التاج في مادة جلحب : كان سعد بن معاذ رجلاً جلحاباً اي طويلاً وروي جلحاباً بالحاء المهملة اي الضخم الجسيم .

وترجم Dyspnée بالزلة ـ أقول من الواجب اتخاذ منهج في وضع المصطلحات ، خاصةً في المصطلحات الفرنجية التي تبدأ أو تنتهي باداة واحدة بعينها . فهنا Dys تفيد على الأكثر معنى العسر . والكلمات التي تبدأ بها كثيرة ، منها Dyslalie و Dysphagie و Dyspepsie و Dyspnée و Dysménorrhée و Dysuric وأمثالها كثير وقد ترجمته قديماً وحديثاً على الترتيب بعسر الكلام وعسر البلع وعسر الهضم وعسر التنفس وعسر الطمث وعسر البول ، فترك النهج والعدول عنه الى كلمة مائة مدفونة في المعاجم لا يستحسن . خاصةً وان الزلة ليست لها اخوات تدل على الضيق في مادة زل ، فهي كالغريبة بينها .

وأراد بالحاق هاء بآخر كلمة كيس للتفريق بين Sac و Kysta فسمى الثانية كيسة . وهذه بدعة في اللغة لأنا نعلم ان الهاء تلحق بآخر بعض الأسماء للتبعيض كالخبز والجبن فيقال خبزة وجبنة أي قطعة منها . ولا أدري كيف غفل عن ترجمة Kyste بالسلعة . فان من يراجع القانون ٣ ـ ١٣١ والعمدة

في الجراحة لابن القف ١ ـ ١٥٠ بعلم ذلك . قال في العمدة وتكون السلع في كيس يحتوي عليها من كل جانب . وقسم السلع الى شحمية وعسلية واردهالجية وشيرازية والشيراز هو اللبن المطبوخ .

وترجم Crépitation بالنقض والتنقيض (صوابه النقيض) ـ أقول النقيض ليس صوت العظم المكسور اذا حرك وان قال بعضهم انه صوت كذا وكذا وصوت العظم بل هو صوت الأوتار التي عند المفاصل اذا زالت عن مواضعها وصوت الأديم اليابس والرحل ونحوها . ان خير كلمة نترجم بها هذه الكلمة الفرنجية هي (الخشخشة) في العظم المكسور . (القانون ٣ ـ ١٩٩) ومثلها (الفرقعة) ق ٣ ـ ٢١٣ . و (الأزيز) في الصوت الذي يسمعه الطبيب في ذات الرئة وفي الثلج عندما يوطأ . (السراج الوهاج ١ ـ ٢٩) .

حول كتاب الأشباه والنظائر للخالديين

جاء في هذه المجلة ٣ ـ ٢٦ ، ص ١٩٨ كلام للدكتور محمد يوسف عن نسخ الأشباه والنظائر للخالديين قوله : كتب القس سليمان صائغ في تاريخ الموصل الجزء الثاني ص ٦٢ ان هناك نسخة من الكتاب في مدرسة حسين باشا الجليلي في الموصل ولم أجد لها ذكراً في كتاب مخطوطات الموصل للدكتور داود ...

أقول : ان كتاب الأشباه والنظائر مذكور في مخطوطات الموصل في جملة كتب الفقه وأصوله (ص ٦١) لأن الكتاب الذي بهذا الاسم في هذه المدرسة هو في الفقه الحنفي للزين بن احمد بن نجيم المصري الحنفي الأزهري . ذهبت قبل كتابة هذا الكلام واطلعت من جديد على النسخة المذكورة فتحققت انها كما ذكرت . فالقس سليمان واهم في كون النسخة المذكورة هي الأشباه والنظائر في الشعر للخالديين ، أوهمه تشابه الاسمين .

(الموصل) **الدكتور داود الجلبي**

المثنوي والدوبيتي

قرأت في الصفحة ٤٢٩ سطر ٦ من الجزء الثالث من المجلد السادس والعشرين من مجلة المجمع وجه تسمية المثنوي بشكل لا يوافق الواقع؛ والتعريف هناك ينطبق تماماً على ما نسميه نحن الايرانيين بـ « دوبيتى » أي ذي بيتين لتمييزه من الـ « رباعي » الذي يكون دائماً على وزن « لا حول ولا قوة الا بالله » خلافاً لـ « دوبيتى » الذي لا يكون له وزن خاص .

وأما في المثنوي فيجب أن تراعى القافية في كلا المصراعين وأظن ان هذا هو سبب تسميته بمثنوي :

بشنوازنى چون حكايت ميكند وزجدايبها شكايت ميكند

... .. . _ _ _ _ _ . _ .

هر كسى از ظنّ خود شد يارمن وز درون من نجست اسرارمن

وعدد أبيات المثنوى لن يحدد بحد بحيث يمكن أن يؤلف ديوان كامل من مثنوى واحد . وهذا بخلاف الغزل والقصيدة اللذين يكون عدد أبياتها محدودين فضلاً عن أنه يراعى القافية فقط في المصراع الثاني (ماعدا البيت الأولى) .

غزل :

منم كه شهرهٔ شهرم بعشق ورزيدن منم كه ديده نيالوده ام ببدديدن
قفا خوريم وملامت كشيم وخوش باشيم كه در طريقت ما كافري است رنجيدن
مبوس جزاب معشوق وجام مى حافظ كه دست زيدفروشان خطااست بوسيدن

قصيدة :

رسم عاشق نيست بايك دل دودلبرداشتن يازجانان يازجان بايست دل برداشتن
ناجوا نمردى است چون جانوسيا روماهيار يار دارا بودن ودل باسكندر داشتن

أحمد آرام

الفهرس العام

لمواد المجلد السادس والعشرين

منسوقاً على حروف الهجاء

فهرس الأعلام

لكتاب مقالات المجلد السادس والعشرين

منسوقاً على حروف الهجاء

فهرس الجزء الرابع من المجلد السادس والعشرين

التعريف والنقد

آراء وأنباء

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)

٢ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث

٣ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث

٤ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي

٥ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك

٦ — تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي

٧ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي

٨ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي

٩ — غوطة دمشق : تأليف الأستاذ محمد كرد علي

١٠ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي

١١ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي. قدّم له الأستاذ خليل مردم بك

١٢ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك

١٣ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك

١٤ — ديوان ابن حيّوس بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك .

١٥ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان

١٦ — تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (المجلدة الأولى) بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد .

١٧ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي

١٨ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني

١٩ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني .

٢٠ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا

٢١ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترستين

٢٢ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد

٢٣ — تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني

٢٤ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب باشا

٢٥ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه الأستاذ يوسف العش

٢٦ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي

٢٧ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي

٢٨ — بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي

(٢٦–٢٨) بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي

٢٩ — الرسالة النباتية : للأمير مصطفى الشهابي

٣٠ — المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم

٣١ — الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني
